

# أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية

الديمقراطية

٢٤٩ د. ٢٠٠٦ - مايو

## محمد الماغوط: الكمان والعاصفة



## ■ إعاقة المجتمع المدني

مندوب

النقد معركة

سياسية

الشاذلي

سكة العشق

الجميل

## ■ ثورات المستضعفين في الإسلام



أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

## أدب ونقد

### مجلة الثقافة الوطنية الديمocratique

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي  
تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثالثة والعشرون

العدد ٢٤٩ مايو ٢٠٠٦



رئيس مجلس الادارة : د. رفعت السعيد  
رئيس التحرير : فريدة النقاش  
 مدير التحرير : حلمي سالم  
سكرتير التحرير : عيد عبد الطيم

مجلس التحرير : إبراهيم أصلان /  
أحمد الشريف / د. صلاح السروى /  
جرجس شكري / طلعت الشايب /  
د. على مبروك / على عوض الله / غادة نبيل /  
كمال رفزي / مصطفى عبادة / ماجد يوسف

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد  
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون  
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر  
محمد روميش / ملك عبد العزيز

أعمال الصنف والتوضيب تصميم الغلاف  
**أحمد السجيني** سحر عبد الحميد  
الإخراج الفني  
**عزة عز الدين**  
لوحة الغلاف ورسوم العدد للفنان بمدوح سليمان

الاشتراكات لمدة عام باسم الأهالى / مجلة [أدب ونقد] : داخل مصر ٥ جنية  
البلاد العربية ٥ دولاراً / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولاراً  
شركة الأمل للطباعة والنشر  
الأعمال الواردة إلى المجلة لا تزيد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.  
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني :  
**adabwanaqd@yahoo.com**  
موقع [أدب ونقد] على الانترنت : **adabwanaqd.4t.com**  
ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن ثمانى  
صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة  
المراسلات : مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهالى  
القاهرة / هاتف ٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

## المحتويات

٥ .....	* أول الكتابة / المحررة
٩ .....	* قراءة في تحولات الشخصية المصرية / دراسة / وليد علاء الدين
٢٠ .....	- إشكاليات المجتمع المدني وسبل الحل / دراسة / حافظ أبو سعدة
٣١ .....	- المهمشون في التاريخ الإسلامي / كتاب / أحمد صبرى السيد
٤١ .....	- محمد مت دور والقضية الوطنية / رؤية / د. إيمان السعيد جلال
٥٢ .....	- محمود الشاذلي وتنويهات على لحنى الصمود والولادة / نقد / فريدة النقاش
<b>* الديوان الصغير :</b>	
- الكمان والعاصفة - مختارات من شعر محمد الماغوط	
٦٥ .....	إعداد وتقديم : حلمي سالم
٨٦ .....	- الإنتاج السينمائي المصري الأوروبي المشترك / سينما / أمل الجمل
٩٢ .....	- الطيور المهاجرة وقصص أخرى / كتاب / إيمان عبد المؤمن
١٠١ .....	- آليات التشكيل في «صمت الرمل» / نقد / خالد البلاطجي
- عصافير وزهور / ترجمة / شعر عسارة كيرتشي /	
١٠٩ .....	ترجمة عبد الوهاب الشيشع
١١٣ .....	- وجه الغزالة ، ماس جدائها / شعر / عبد الناصر صالح
١١٨ .....	- بكل وضوح / شعر / محمود خير الله
١٢٠ .....	- خداع / شعر / صلاح جاد
١٢٣ .....	- يوميات حداء / شعر / سامح محجوب
١٢٦ .....	- المرايا / شعر / خالد حرب
١٢٨ .....	- امرأة واحدة / شعر / سامي الغباشى
١٢٩ .....	- الحصان / شعر / ناصر دويدار
١٣٣ .....	- الجواد / شعر / محمد حسن على
١٣٥ .....	- مخلوقات صغيرة / قصة / سعيد عبد الموجود
١٣٨ .....	- الخليفة / قصة / أحمد محمد عبده
١٤١ .....	- عن ملفات الأدب في الآقاليم / سمير الأمير
١٤٤ .....	* إشارات / محمد الماغوط / رجاء النقاش

### الوردة في الحديقة

الحديقة ممثلة بالورد .. بيضاء وصفراء، حمراء زرقاء ووردية، برتقالية بنفسجية وقرمزية، هكذا تشكلت رغم أنها سقيت كلها بماء واحد، وانزرت جميعاً في تربة واحدة طميتها واحد، سطعت عليها شمس الله الواحدة وتنفست هواءه.

لوردة سرها إذن.. لعله يمكن في الاختلاف والفرادة وبخاصة من البداية كل سعي للتنمية حتى لو كانت الطبيعة نفسها تتطلع إليه.. هكذا هو كل كائن حي، إنه فريد في ذاته حتى لو انسحت فرادته تلك بقوة قاهرة ما فإنه يظل يفحص عما يميزه ولو بطرق مراوغة. حتى النمل حين رأب العلماء سلوكه تبينوا أيضاً تنوعه الهائل واختلاف حركة كل نملة عن الأخرى رغم التشابهات الكثيرة.. والانضباط الصارم وتوزيع الأدوار.

ما بالنا إذن بالإنسان الذي قال عنه «شكسبير»: أى تحفة فريدة هو... وكان وهو يكتب ذلك البيت الأصيل من الشعر يتحدث عن مطلق الإنسان لا عن ملك أو إمبراطور .. كان يستدعي الصيادين والرعاة .. الحدادين والنجارين والمهرجين وحتى العاهرات.

ولكن كاتباً كبيراً مثل «يحيى حقي» رأى في روايته «قنديل أم هاشم» الجمهور ككتلة واحدة صماء تكرارية ساكنة.

ولا غرابة إذن أن يقارن بينها وبين النمل والرمل وهي شاردة من بؤسها وتخلوفها، وقانعة بأن الظلم عقاب على آثام ارتكبها، والجمهور شخصية جماعية جاهلة مفعول بها «كتلة سقطت من شجرة الحياة فتعافت في

كنها» ويمكن للمرء أن يتساءل هل هو الغضب من البؤس أم احتقار البائسين؟ لكن بوسعنا أن نجد في هذه النظرة للبشر كجماعة آثار الرؤية المثالية الرومانسية التي تغلفها فلسفياً نزعة أنثروبولوجية ترد المجتمع كله إلى ميول الناس الطبيعية البيولوجية وتنفي عوامل تطوره الاجتماعية العميقه والدور الحاسم الذي تلعبه هذه العوامل في نمو الإنسان وتشكله وبخاصة موقعه الطبيعي من محبيه.. وبينته الثقافية والتغيرات الطبيعية أو العاصفة التي يعرفها هذا المحيط بكل مكوناته..

ومن مثل هذا السياق تبقى صفات الإنسان ثابتة ومن هنا ينبع التشابه والتكرار مadam العنصر البيولوجي حاكماً هو نفسه، ويتأتي المكتسب الاجتماعي في مرتبة متاخرة.. ويبدو هذا الإنسان مجرد كتلة من العواطف والمشاعر والانفعالات والأفكار والأوهام الثابتة الجوانية التي تسمى تكوينه الوجودي ومن شأن هذه الرؤية أن تبرر الظلم باعتباره فعلاً خفياً غامضاً نابعاً من نزوع إنساني قطري دون جذور اجتماعية أو استغلال طبقي ينبع فيه البعض فأفض عمل الأغليبية.

يقول يحيى حقي «ما هذا الظلم الذي تشكون منه؟ ما هذا العبه الذي يجثم على الصدور جميعها؟ ومع ذلك فعلى الوجوه كلها نوع من الرضى والقناعة وما أسهل ما ينسون».

ولعل «يحيى حقي» برؤيته هذه لما يسميه الرضا بالظلم أن يكون واحداً من المنظرين لفكرة شائعة تقول بأن الخنوع هو خصلة مخلوقة مع الشعب المصري وبالأمس سألني صحفي أجنبي: إن كان الشعب المصري حقاً خوافاً بطبيعته؟ وهو ما سبق أن قال به المقريزى حين نقل ما روى عن «عمر بن الخطاب» أنه سأله «كعب الاخبار» عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها فقال:

إن الله تعالى لما خلق الأشياء جعل كل شيء لشيء فقال العقل أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة وأنا معك، وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك. وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك».

تشريح «يحيى حقي» في نظرته الرومانسية المثالية للعالم باحثاً عن انسجام مستحيل يتواافق فيه الظالمون والمظلومون حتى إنه قال عن المحتلين «إخوتنا» على اعتبار أن الغفران هو صنُّوا هذا الانسجام المشود في عالم متنافر الأجزاء محتجزاً بالألام

والإنقسام.

ولم تستطع نظرته - رغم صدقها الشخصى - أن تنفذ إلى ما وراء الظاهر من خنوع «النمل» ومذلةه وتشابهات الرمل وتكراره كما وصف هو الشعب. ولم أعنثر أبداً من أعمال «يحيى حقي» عن كتابة تتعلق باتفاقية فبراير ١٩٤٦ التي اندلعت بعد كتابة روايته تلك بسنوات قليلة وتحول «جيش النمل» إلى جيش تمدد وعصيان ضد المحتل والقمرص وكبار الملوك، وتراجع الذل الذي حمله الخصب معه إلى مصر كما قال «كعب الأخبار» .. وتلونت مياه النيل حينها بدماء قتلى مذبحة كويرى عباس وامتلاء السجون بالمعتقلين واندلع الغضب في كل مكان.

ورغم العذوبة والطيبة الصافية التي فاتتها أن تلحظ في الطبيعة تنوع الورد واختلافها ونضاعة ألوانها وتبينها الذي يهزم التكرار فقد بدا عطف «يحيى حقي» على الجماهير منطويًا على الإزدراء والشفقة التي تعيد إلى الأذهان تعالى الأتراك المعروف على الفلاحين المصريين، على اعتبار أن الأتراك كانوا حكامًا والفالحين محکومين. يقول الكاتب «حركة النمل تتعارض وتحاذى وتضرب في كل اتجاه».

وحين وقفت الباحرة لدى عودة بطله «إسماعيل» إلى مصر بعد أن درس الطب في أوروبا «أصبحت جثتها فريسة لجيش من النمل يهاجمها».. إنها الشفقة الممزوجة بالقرف.

ويقول «إسماعيل» لاحقاً في صيغة النداء الملتاعة مخاطباً هذا الجيش البائس ، ناسياً أن ثمة أيضاً فرادة من القدرة على الإيذاء: «تعالوا جمِيعاً إلى .. فيكم من آذاني، ومن كذب على ومن غشني، ولكن رغم هذا ما يزال في قلبي وكان لقدرتكم وجهاكم وإنحطاطكم. فأنتم مني وأنا منكم ، أنا ابن هذا الحي. أنا ابن هذا الميدان لقد جار عليكم الزمان، وكلما جار واستبد كان إعزازى لكم أقوى وأشد».

فهل يمكن أن يمنع إنسان كل هذا الحب المشيب إلى كتلة غائمة هي جيش النمل؟ أم أن ثمة أشياء وأشياء تميز كل منها عن بعضها البعض يجعل للمحبة عينين ترى بهما إنسانية كل فرد على حدة.

أما الوجه الآخر لهذه النظرة المتعالية الممزوجة بالشفقة والاحتقار في أن فهو القول

بارستقراطية الطبيعة، وهى فلسفة يروج لها المستفيدون من انقسام المجتمعات ومنها المجتمع المصرى بين قلة فاحشة الثراء وأغلبية فقيرة، وبينهما طبقة وسطى مهددة فى كل لحظة بالانحدار وتكافح بآيديها وأسنانها لتبقى مستورة.

فمن المستفيد؟ طبعا هم أصحاب الثروات الهايلة الذين يرون أن الغنى يستحق غناه وأن الفقير يستحق فقره، وأن عدم المساواة بين البشر هو الوضع الطبيعي، فالطبيعة كما تقول هذه الفلسفة نخبوية لأنها تنتهي القوى والأجمل ومن ثم الأصلح فتتجه على صعيد كل المخلوقات، والبشر هم أيضا مخلوقات الله تتصفى منهم الطبيعة الأفضل وهولاء المحظوظون المنتخبون من الطبيعة أو حتى من الله سبحانه هم عادة الأقلية بينما تظل الأكثريّة الساحقة من الناس هي الجمهرة هي «السفلة» على حد تعبير «شوينهور» أو جيش النمل الذي أشفع عليه «يحيى حقي» ونذره للقرار والتباين ولكنه بدوره اصطفي منه بطله.

متعصبة في كثير من أنحاء العالم مفرداتها الإيديولوجية، وقد أخذت هذه الحركات تستعيد عافيتها مؤخراً بعد أن كانت الفاشية قد تلقت هزيمة ماحقة في الحرب العالمية الثانية، وهي استعادة تتواكب مع تحول الرأسمالية العالمية مجدداً إلى الاستعمار العسكري، ودخولها إلى مرحلة العولمة التي يصفها البعض بأنها مرحلة ما بعد الامبرالية.. التي تنتعش في ظلها العنصرية الصهيونية على أرض فلسطين وتبتلع الأرض وتقتلع الزرع وتتحقق البشر وباسم وعد إلهي للشعب المختار، وهو الوعد المزعوم الذي تستر به المصالح الاستعمارية التي تحميها إسرائيل.

وفي هذه الطاحونة نفسها تصب عمليات إحياء النزعات الدينية الرجعية في كل البيانات سماوية وأرضية، وفتح الباب واسعاً في البلدان المتعددة البيانات والأعراق للصراع الطائفي والعرقي، فضلاً عن أنها تصلح ملاداً للجماهير الباسلة الجائعة والتي تجد فيها هروباً من التعباسة الواقعية على أمل الحياة الأفضل في الآخرة، أى أنها تنتعش في اليائسين رغبة عارمة في الخلاص بالموت، بدلاً من الخلاص بالحياة.. والخلاص بالحياة يعني قبل أي شيء رعاية موهبة الحياة والدفاع عنها ضد كل موت، خاصة أن أيام الربيع التي نعيشها الآن تمنحنا فيضاً من الألوان ورداً وأشجاراً يدعونا كلها للتأمل فيما كتبته عن الورد في أول هذه المقال، وعن معنى التنوع والفرادة والعالم الذي نحن جمعياً مدعوون لصنعه على أساس منها، فلسنا نسخاً مكرورة وشائهة من بعضنا البعض، وليس بيننا من هو «طبيعي» وبيولوجي أرقى وأفضل من الباقي فالفرادة مخلوقة معنا تماماً كما الورد، أما الرقى والتقدّم فهو كدح وعمل من شروط عادلة.

إنه أوان الورد الذي يدعونى للتأمل من كل هذه المعانى والأفكار ولكنني لا أقول مع «سعاد حسني» إن الجو بديع قفل لي على كل المواقف .. فالورد تتفتح.

## زيف الصورة الذهنية: قراءة في تحولات الشخصية المصرية

وليد علاء الدين

لعله من الواجب قبل الخوض في استعراض مداخلتي التالية حول (الشخصية المصرية) أن أوضح أنني ما كنت لأهتم بهذا الأمر أو أفك فيه لو لم أكن منتمياً كلياً إلى (مصر): هذا الكيان الذي نصطلح على تسميته بالوطن، والذي أحترم دائماً في أمر ذلك الشعور الدافئ الذي يربطني به، رغم أنه لا يتحقق لي بكلثرين غيري من الحد الأدنى من شروط المواطنة الكريمة.

ولا أجده لذلك من أسباب موضوعية سوى الوعي بأن الوطن ليس (أحوال الوطن)، وأنه ينبغي علينا قبل أن ننساق وراء مشاعرنا أن ندرك أن سبب انتمائنا إلى الأوطان مهما بدت قاسية، هو إدراكنا الخفي أن الوطن لا يتحمل تبعات ممارسات القلة التي تدير أحواله، مهما طال بقاء هذه ثلاثة وزار فسادها.

وأضيف على ذلك أنني لا أنكر على (الشخصية المصرية) تمتتعها بالعديد من الصفات الحميدة، كما لا أنكر أبداً ما للمصري من تراث عريق ومتنوع، ولا أنكر كذلك قدرته - أي المصري - على تحمل ما قد تتلوه بحمله الجبال من ظلم وقهر واضطهاد وفساد منذ أقدم العصور وحتى الآن.

لا أنكر كل ذلك من أمور كفيلة بأن تثير في المصري الكثير من الشعور

بالفخر والعزّة لأنّه مصري (بهذا المعنى)، إلا أنّ ما ألفت النّظر إليه هنا هو ذلك التّحول الذي طرأ على نمط منتشر من أنماط الشخصية المصريّة - وسيكون هذا النّمط هو مقصود التّحليل فيما سيلي من المقال - يتجلّى فيه الفخر والاعتزاز بصورة مرضية بدأ أن الشفاء منها في حاجة إلى وقفة وعي عام ونظرة موضوعية قبل فوات الأوان.

وسبب ذلك - في رأيي - أن ما يمتلكه المصري المعاصر من إحساس بالفخر والاعتزاز بمصرتيه ليس نابعاً عن فهم وإدراك لحقائق الأمور، بل هو نتيجة لعملية مستمرة مورست عليه منذ سنواته المبكرة، تم (خشوه) خلالها بآفكار متزوعة من سياقها - حتى لا نقول مغلولة - هذه الأفكار وإن كانت حقائق، أو جزء كبير منها هو حقائق، فهي بنزعها من سياقها العام كونت تصوّراً مشوهاً وناقصاً ومتقدراً للحياة، جعلها أبراً عالية فارهة، إلا أنها عرضة دائمًا للسقوط عند أول نفخة ريح، لأنّها قائمة على سطح الأرض دونما أعمدة أو أساس.

فالشخص (المصري) المعاصر ينشأ منذ نعومة أظفاره في بيئته تتولى عملية تغذيته بأفكار حول تفوّقه وتميّزه، وتمنّحه قسّوراً باهتة حول مجده التّليد وحضارته القديمة التي لم تر الدنيا حضارة مثلها، وتغلق الباب أمام تعرّفه على الآخر بصورة سليمة، ليصبح لا أحد خارج مصر، لا حضارة ولا فن ولا سياسة ولا أدب ولا... ولا..... ليكتسب المصري وتكبر معه أفكاره المتشوّهة حول ذاته وشخصيته، تلك الأوهام التي لا يمتلك القدرة على مقاربتها بشكل واع - لكي لا يقول علمي أو منهجي - وبالتالي لا يمكنه التواافق معها أو تبنّيها أفعلاً وخاصّاً تدفعه نحو الآلام، ناهيك عن صدمة اكتشافه أن ثمة آخرين كثُر خارج (مصره) ولهم قدرات تفوق أو تقل أو تساوي ما له من قدرات.

تراكم هذه التّصورات في ذهن المصري من شأنه أن جعل منه من ناحية: شخصية مثيرة لنفور الآخر إلى حد ما، قادرة على تحريك مشاعر الكراهيّة في نفسه بما تحمله من تصوّر فوقى متواهم حول ذاتها وتصوّر دوني متواهم حول الآخرين، ومن ناحية أخرى جعلها شخصية سهلة الانقياد وراء ما يستطيع أن يدّغدغ تلك المشاعر فيها، إضافة إلى أنها أصبحت شخصية معرضة للإحباط عند أول محك عملى أو مقارنة واقعية تختبر بمقومات العزة والفخر لديها.

هذا الإحباط هو التوصيف الأقرب للحالة التي تحدث عند مغادرة الشخصية المصرية لحيطها الذي يحميها، ويشاركها أوهامها الذاتية المتضخمة: أي مصر نفسها ، حيث تسمح شروط هذا المحيط بأن تظل هذه الشخصية هائمة في فراغ تخيلاتها حول عزلة المصري وقدراته الخارقة التي جتنّ تفوق الآخرين في كل شيء بداية من الجنس والفحولة الجنسية وانتهاء بالفالهلوة والقدرة على صنع المعجزات.

ولأن حديثي هنا سوف يقتصر على الشخصية المصرية في تفاعلاتها خارج محيطها المصري، وهو الأمر الذي تابعه بحرص طوال فترة إقامتي خارج مصر، فإنني اكتفى بالإشارة إلى أن تصوّري النظري يرى أن الفكرة نفسها تتطابق داخل المحيط المصري، ولكن الفارق الجوهرى في رأيي أنها تتم في إطار قاعدة (الأولوية بين أكفاء)، وهو مصطلح استخدمه الدكتور جمال حمدان في إطار حديثه عن أمر آخر، إلا أننى وجدها يناسب تماماً ما أود قوله في وصف الفارق بين شعور الشخصية داخل محيطها المصري، وخارجها، لتأكيد وطأة ما تحدثه صدمة المواجهة/ الاحتكاك بما هو خارج هذا المحيط أو بمن هم خارجه (الآخر غير المصري).

من الجدير بالذكر أن نتائج هذه المواجهة لا تكون سلبية على طول الخط، بل إنها أحياناً تخلق قوة دافعة داخل الشخص، فيعيده النظر في أمر ذاته ويقيمهـ وفقاً لمعايير العصر، ويستدعي من تركيبته جواهرها فيثبت جداره وتقوّاً ونجاحاً، ولكن يحدث هذا فقط لدى هؤلاء الذين يمتلكون القدرة من الوعي اللازم للاحتفاظ بتواظفهم واستدراك الأمر وتغيير الاتجاه، عند التعرض للصدمة التي نعنيها: صدمة اكتشاف زيف الفكرة عند المقارنة أو الاحتكاك أو الآخر، وهؤلاء للأسف - مع وطأة التعبئة الفارغة - يمثلون القلة، ومن هذه القلة نرى هؤلاء المصريين الذين يتغوفون في (الخارج) إلى حد إظهار العبرية.

ولكن لفساد النموذج العام، فإن قدرة هذه القلة على تحويل الإحباط إلى نجاح يتم نسبة أو الصاقه بالوهم العام حول عبقرية الشخصية المصرية على طول الخط دون قراءة متأنية أو منهجية لأسباب تفوق هؤلاء التي لو تمت قرأتها بشكل منهجي موضوعي ل كانت مؤشرات فعلية على الخلل المفرز الذي تمر به تلك الشخصية، ولأمكنا لننا أن نحل أسباب هذا النجاح لتحولها إلى نموذج يمكن إتباعه على المدى الطويل ل يجعل من الاستثناء قاعدة.

باستثناء هذه القلة فإن المواجهة التي أشرنا إليها تنتج حالات كثيرة يمكن أن نقتص منها ثلاثة شخصيات باعتبارها نماجاً بارزاً، بين هذه النماذج يمكن تصنيف أطیاف كثيرة ومتعددة يمتاز كل طيف عن الآخر بأمور جوهرية، إلا أن جلهم وإن بدوا أقل تسامماً، ربما يقعون في واحد من هذه التصنيفات الثلاثة أو يدورون في فلكلها، باعتبار أن تصنيف القلة الأولى هو الناجي الذي علينا أن نسعى لزيادة رقعته ومساحته بشتى الطرق الممكنة.

وفيمما يلى محاولة لتوصيف هذه النماذج، ربما لن تنجح في الفرار من أسر المبالغة التي يستدعيها عادة الحديث عن أنماط من البشر تعيش بيننا، كما أنتي في البحث الأصلي أتبعها برصد لعدد من الأمثلة العملية على كل منها لتقريب الصورة من ناحية،

---

ولإزالة أية شبهة للتجني قد تكون أوقعتنى فيها محاولة صياغة الأفكار بالكلمات من ناحية أخرى، وهو أمر لن يتسع المجال له هنا.

### شخصية المحتال:

أو م تنزاوية نظر أخرى شخصية الا (Surviver) الذى تتحصر مهمته فى أن يبقى حياً بعد انقضاء حادثة ما، وهو تحول يصيب الشخص فور اكتشافه أنه لا يمتلك من القدرات العملية أو المقومات الحقيقية ما يتفق والصورة الذهنية التى يمتلكها حول نفسه، ولكنه لا يستطيع نقل هذه المعلومة لتصبح معرفة ترقى إلى مستوى الوعى ليعمل من خلالها على تجاوز أزمته، فيقوم بتدريب نفسه والتعلم والتقطاط المهارات الكفيلة بانخراطه على الأقل فى الحياة بغض النظر عن أن يصبح مميناً أو غير ذلك.

تجد ذلك الشخص يركز كل مهارته وقدراته فى المعارضه الفارغة أو الإصرار المبالغ فيه على صحة ما يقوم به من أعمال، أو رفض الآخر بحماقة واعتباره أقل منزلة منه، وهو يوجه كل معرفته فى اتجاه التحايل على ما يعترضه من أمور، فقط لتجاوزها وليس لاحتواها، والتتجاوز هذا فى المعنى الذى أقصده هو عبر الأمز، بينما يشمل الاحتواء عبر الأمر وتحويله إلى معرفة مكتسبة ضمن تركيبة الشخصية، ويعنى ذلك أيضاً أن هذا الشخص لا يضيف إلى شخصيته مهارة جديدة بتحايله على الخروج من المأزق، فهو يخرج من المأزق بالحيلة سطحياً كما مر به، دون أن يضيف إلى الخبرات الإيجابية لديه جديداً، بل يزيد من رصيد قدرته على التحايل، فتتأكد لديه الصورة الذهنية الزائفة عن كونه مميناً وقدراً على تجاوز المشكلات بالغهلوة.

### شخصية (الكامن)

وهو الشخص الذى يفضل عدم المنافسة داخل الميدان، ولكنه لا ينسحب منه، ويبقى منطويًا على ذاته.

وهو لم ينسحب لأنه لم يعترف بفساد الصورة الذهنية التى عاش عليها، ولم يعترف بأسباب فشله الحقيقة، وإنما هو انطواه يتضمن قدرًا من الغضب على الدنيا التى لا تعترف بالعقبية ولا تعطى لكل ذى حق حقه، وتکيل بمکاایل غیر عادلة، وغير ذلك من تصورات.

هذه الشخصية المنطوية لا تنسحب كما أسلفنا من الميدان، وتظل كامنة فى أى مكان يتتوفر لها، بمهارات معطلة ذاتياً، (أى أنه لا يخلو من مهارات إلا أنها تعطلت فى إطار نمط الكمون الذى اختاره لنفسه)، ونفسية معتلة تلعن الزمن والظروف، وتهزأ من كل

آخر قادر وفاعل، ولا تعرف بمهارة هذا الآخر بل تعالها بجور الزمن الذي لا يفرق بين الرجال.

هذا النموذج : الكامن، يتضمن أطليافاً عدة مثلاً مثل بقية النماذج، فتارة تراه شخصاً متعالياً على الآخر تماماً، لا يكاد يراه، إذا كانت الظروف تسمح له بذلك، وهو بهذا يعيش ما يشعر به من صدمة المقارنة، وتارة تراه شخصاً متلقاً ومداهناً للآخر بشكل مبالغ فيه، يضم في نفسه رفضاً شديداً لهذا الآخر الذي تسيطره الظروف إلى مدهانته وفق مبدأ شهير: (إن كان لك الكلب شيء قل له يا سيدي)، كما يمكن أن تجده شخصاً لا يرغب في أن يشعر بوجوده أحد، يمضى ساعات وأيامه في ممارسة رد الفعل وتنسيقه وليس الفعل والمبادرة،... وهكذا.

#### شخصية (المنسحب):

وهو الشخص الذي تصعفه نتيجة المقارنة بين الصورة الذهنية التي عاش عليها طوال حياته، وبين القدرات الواقعية لهذه الصورة على محك الفعل.  
لسبب أو الآخر تختار هذه الشخصية أن تنسحب فوراً من خوض المعركة، ربما لأنه تمتلك (نصف وعي)، يسمح لها بتعريفة (نصف الحقيقة)، ولا يسمح لها بالقدرة على تحويل هذه المعرفة إلى قوة دافعة، فتزداد وطأة الصدمة عليها، لتصبح صدمتين: صدمة اكتشاف الشخص زيف الصورة الذهنية، وصدمة تصوره لما يتطلبه تغييرها من جهد لا يستطيع بذله، فتكون النتيجة الانسحاب الكامل، فلا هو تمكن من أن يصبح (المحتال) كالنموذج الأول لأن القدر الذي يملكونه من الوعي يحول بينه وبين لعب هذا الدور باحتراف، ولا هو أمكنه الكون كالشخصية الثانية للسبب نفسه (نصف الوعي) فيكون الخيار الأقرب هو الانسحاب.

وعادة ما تكون الصورة المثلية لهذا الانسحاب العودة إلى المحيط الذي يشاركه خيالاته عن العبرية ولكن للأسف فإن هذا النموذج يظل ما بقي له من حياة مشروباً، لا هو حلق في أفق مغادرة الوهم، ولا هو تتمكن من العودة إلى حالة الاستقرار في محيطه الأول.

ويمكن ملاحظة هذا الأمر بكل تأثر على فئات من العائدين من العمل في الغرب أو في الخليج لعدم قدرتهم على النجاح وفقاً لمثال القلة (الناجية) أو الانحراف وفقاً لمبادئ الشخصية الأولى (المحتال) أو الكمون كما يحدث مع الشخصية الثانية (الكامن).  
ويتبين ذلك الانسحاب في أنماط السلوك التي يتبعها هؤلاء في الحياة بعد عودتهم إلى

محيظهم الأصلي ، وعادة ما تصيبهم الأمراض العضوية الناتجة عن حمل نفسى رهيب، أو يقضون بعد سنوات قليلة من العودة إلى محيظهم، أو ينخرطون في أمر المتعصبين، سواء كان هذا التعصب دينياً أو فكرياً لأنهم يرون في العودة إلى الأصول والماضي وإلغاء الآخر ومصادرته ومحاولته تنميطه بنمطهم أو إقصائه من منظومة التفكير ما يريحهم من عذاب هذا الشرخ الذى أصابهم إلى غير التسام، كما أن هذا الانتفاء إلى الماضي قد يظهر في أشكال من التوكوس النفسي والدخول في حالات نفسية مرضية.

●●

قبل الانتقال إلى محاولة تقصى إرهاصات هذه التحولات في التاريخ، أجد واجباً التأكيد على أن توصيف النماذج الثلاثة السابقة لا يعني أنها النماذج الوحيدة أو أنها تتسع لتشمل جميع المصريين، إلا أنها كما رأيتها تستوعب عدداً كبيراً منهم، وإن لم يعن ذلك انتظام جميع التفاصيل النظرية لكل واحدة على كل شخصية مصرية، فإن هناك إطيافاً كثيرة ومتعددة كما ذكرت سابقاً تتدخل مع هذه النماذج وتتقاطع. كما أن تتبع هذه الصفات لا يعني أو يتعارض بحال مع أن المصري بالفعل مميين، وأن من شأن هذه الأمور أن تعطل ميزاته وقدراته ومهاراته الخاصة، تلك المهارات والقدرات والخبرات التي لا جدال في كونه قد اكتسبها بفعل التجارب والمحن والظروف التي مر بها - مثله في ذلك مثل باقي الشعوب - إلا أن التجارب في حاليه امتدت نسبياً في الزمن كما كانت قاسية وغزيرة ومتعددة، ولفرط قسوتها تلك فإنها كانت كفيلة بتحويله إلى شخصية منكسرة وفاقدة للثقة، وربما أن رغبته في مقاومة هذا الانكسار ساهمت بشكل أو بأخر مع صحبة أخرى من العوامل في تحوله إلى تلك الأنماط محتمياً من قسوة الانكسار وصدمته بقشرة زائفة ساهم في تكريسها مناخ عام ومارسات توالت على مر التاريخ.

كما ينبغي التأكيد على أن هذه الملامح لا يمكن أن تكون مقتصرة على المصريين بعينهم دون شعوب الأرض، وإلا أنزلنا في فتح الوهم من زاوية أخرى، فهي لابد موجودة بشكل أو باخر وأسباب ومواضيع مختلفة أو مشابهة لدى كثير من شعوب العالم، وربما أن عارض الفخر الزائف هذا عامل مشترك بين جميع الشعوب العربية تحديداً، وهو ما يلمسه المغترب في بلد يضم جميع الجنسيات العربية، فالعربي مثلاً يعتقد أنه صاحب أقدم حضارة وأن اكتشاف العراقي القديم للعجلة يعني أنهم أصحاب أول حركة في العالم، وينظر إلى الجنسيات الأخرى من العرب نظرة دونية أو حاقدة أو ناقدة، والمسلم يرى أنه أصل اللغة وبالتالي الحضارة، ولا يقل في ذلك اللبناني والسوري والمغربي، ولكل أسبابه وأوهامه ، بينما الشخصية الخليجية تمارس الآن نوعاً من التعالي الشكلي

على الجميع، ولكن ليس داخلاً في إطار اهتمامي - على الأقل الآن - تقصى هذه الملامح في شخصية أخرى غير المصرية.



### رؤية تاريخية

لعله من الصعوبة بمكان أن نحدد تاريخ بداية الممارسات التي انتهت بالشخصية المصرية إلى هذا الوضع، أو هددت بتفشيها، إلا أن البعض يعيد نشوء فكرة (القومية المصرية) إلى فترة وجود الحملة الفرنسية، والمقاومة الشعبية لها، وما حدث كذلك من مقاومة الشعب للمماليك وللأوالي العثمانى إلى أن وقع الاختيار على محمد علي. وربما كان الرافعى فى كتابه (تاريخ الحركة القومية) هو أول من ربط بين مقاومة المصريين للحملة الفرنسية وما أعقبها حتى اختيار محمد علي، وبين ولادة الشعور بالقومية المصرية، فقد أشار إلى أن «نابليون قد استثار الروح القومية المصرية، ولم يسبق لفاتح ذلك العصر أن يشيد بمكانة مصر وعظمتها ويووجه خطابه إلى المصريين وبعدهم بأن يكونوا أصحاب الحل والعقد في البلاد»(١).

بينما مثل لويس عوض فكرة القومية المصرية ميلاداً آخر(٢)، حين ربطها بالذكرة التي رفعها (المعلم يعقوب المصري) إلى الإنجليز، والتي تضمنت مطالبة بحكومة مصرية مستقلة، معتبراً بذلك أن (يعقوب) - الذى كان يعمل لصالح الفرنسيين وقتها فمنحوه لقب جنرال، والذي تدور حول شخصية شكوك كثيرة - هو صاحب فكرة القومية المصرية.

وفي كلتا الحالتين فإن ما اعتبره البعض به إحساس المصريين بذاتهم، هذا الإحساس الذى سوف يتم بعد ذلك ليتخذ أحياناً أشكالاً غير صحيحة، لم يكن تابعاً من إيمان المصريين بذلك، أو تتاجأ حتمياً لممارسة المصريين العملية للحياة ورؤيتهم لجوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية فالواضح أن ميلاد هذه الحركة - إذا جاز استعمال هذا المصطلح لوصفها - جاء باعتبارها بديلاً رأى الفرنسيون أنه الأفضل لمصر بعد رحيلهم عنها لكن لا تستفيد من رحيلهم قوة منافسة لهم، فإذا كان الرحيل ضرورة، فلتكن إذن (مصر للمصريين).

كما أن الإشارة بعظمة مصر وحضارتها التي استخدمها نابليون في خطاباته للشعب المصرى يمكن أن تعتبرها من قبيل مغازلة هذا الشعب لاستقطابه وتحييده وكسر شوكة المقاومة المتوقعة منه.

وقد أشار الدكتور أحمد على المجدوب في كتابه (الوهم والحقيقة في الفكر المصري

ال الحديث) إلى أن إعجاب الرافعى بنايليون يعد من قبيل التعصب لفكرة القومية المصرية «إلى الحد الذى يجعل الرافعى يغفر لهذا المحتل كل جرائمه وأثامه فى حق مصر وأبنائها مجرد كلمات لا قيمة لها أثبتت الأحداث التى سبقتها والتى لحقتها كذبها».

أما ما تضمنته مذكرة (الجنرال يعقوب) الذى نسب إليه لويس عوض فكرة القومية المصرية، فإنه يقدم دليلاً قاطعاً على أن هذه الدعوة ليست نتيجة طبيعية لمارسة عملية واعية، يقول في تلك المذكرة: «إن إنشاء هذه الحكومة لن يكون قط نتيجة لثورة استحدثها نور العقل أو أحumar المبادئ الفلسفية المتصارعة، ولكن تغييراً تجريه قوة قاهرة على حياة قوم وادعى جهلاء يكادون لا يعرفون في الوقت الحاضر إلا عاطفتين تحركان الأخلاق: المصلحة، والخوف»<sup>(٣)</sup> ويقول: «إن طول استعباد المصريين تحت يد الترك والمماليك قد حرم مصر من النور الكافى لتكون رأى عام بصير يمكن أن يخرج منه عمل سياسى لتغيير نظام الحكم».

وبغض النظر عمما تم إطلاقه على (الجنرال يعقوب) من صفات الخيانة والعمالة وغيرها (انظر كتاب الدكتور أحمد على المجدوب: الوهم والحقيقة في الفكر المصري الحديث)، لأنها في حاجة إلى نظر وفحص على مستويات أخرى فإننا نجد في مذكرته التي استند إليها لويس عوض في تنصيبه أباً للفكرة القومية المصرية إشارات واضحة إلى ما أورده سابقاً من صفات الشخصية المصرية، فالذكرا عبارة عن اجتهد (فهلوى) يهدف إلى إقناع الطرف الآخر بما يرغب فيه، فلأنه يخاطب الإنجليز فهو يرى أن «أية حكومة تحكم مصر تفضل حكومة الترك» ويقنع الإنجليز بأنه «أنضم إلى الفرنسيين بدافع من رغبته الوطنية في تخفيف ألام مواطنيه» وأن «الفرنسيين خدعوهم»، ولهذا «فالمصريون الآن يحتقرن الفرنسيين احتقارهم للترك فيما مضى»، مؤكداً أن «الفرنسيين جعلوه يعتقد أن بلادهم أقوى بلاد أوروبا» وأنه «لم يكن يعرف شيئاً عما إنجلترا من قوة بحرية عظيمة»، ومع ذلك فقد كان يعلم «أنه بغير تأييد بريطانيا العظمى فإن رغبته في أن يرى وطنه يتمتع بالاستقلال مفضى عليها بالفشل». ثم يؤكد يعقوب أنه لا داعي للخوف من دفاع المصريين عن استقلالهم، لأنهم لن يتمكنوا من توجيه هذا الدفاع ضد الأوروبيين إلا بعد وقت طويل، عندما تصبح القوة القومية منظمة وتكون قد اكتسبت الاحترام، إلا أن هذا الدفاع (القومي) سيكون ضد الترك والمماليك، وفي هذه الحالة «نعتقد أن الدول الأوروبية يمكنها أن ترد عنهم كل عدوان يقع على مصر، وبالإضافة إلى هذا ففى إمكان المصريين أن يستخدموا على حسابهم قوة أجنبية مساعدة مؤقتة يتراوح عددها بين ١٢ ألف رجل و١٥ ألف رجل يكفون وزيادة لإيقاف الترك عند الصحراء ولتحطيم المماليك فى داخل مصر، وستصبح هذه القوة نواة القومية

المصرية»(٤) (تاريخ الفكر المصري الحديث - الجزء الأول). من الواضح إذن أن فكرة القومية المصرية لم تكن إلا نتاج صراع قوتين كبيرتين على مصر، الفرنسيون من جهة وإنجليز من جهة أخرى، ولم يكتب لهذه الفكرة أن تتحقق أو أريد لها إلا تتحقق، إلا أنها عاشت في ثنائي كل الحكومات التي تعاقبت على حكم مصر بعد ذلك بدءاً من محمد على الذي أفاد كثيراً منها ومن مثيلتها: القومية العربية، في التكريس لحركته الاستقلالية عن الباب العالي، حيث إن الأولى كانت تضمن له حكم مصر حكماً مستقلاً بينما الأخرى تضمن له حكم الأقاليم العربية التابعة للخلافة بالإضافة إلى مصر.

ولا داعي هنا للخوض في تفاصيل المخططات والمؤامرات التي كانت تحاك في ذلك الوقت من أطرافها الفاعلة أو الفرعية، لأن الهدف هو قراءة آثار تلك السياسات على نمو الشخصية المصرية، وما تم تمريره إلى بنائها الثقافي من أفكار لكتسبها أداة لهذا الطرف أو ذلك فيما يتم التخطيط له.

وتحفل الكتابات التي تناولت تاريخ مصر في تلك الفترة بإشارات تفيد بأن المصريين لم تكن لديهم أي ارتباطات نفسية بتاريخ مصر القديم تدعوه إلى تقدير ذواتهم على أساسه، ومن أهم هذه الإشارات ما ورد في كتاب (وصف مصر) الذي كتبه علماء الحملة الفرنسية نفسها التي يبدأ الحديث عن القومية من عندها، وكذلك ما أوردناه سابقاً من وصف الجنرال يعقوب المصري المصريين بأنهم «وادعين جهلاً يكادون لا يعرفون في الوقت الحاضر إلا عاطفتين تحركان الأخلاق: المصلحة، والخوف».

إذا كان هذا الاعتراف السابق بعدم وجود ارتباطات نفسية يتطلب قدرأً ما من الاعتراف بجهل العامة من المصريين حتى ذلك الوقت بتاريخهم وحضارتهم بعيداً عن الخوض في أسباب هذا الجهل التي لا يخفى معظمها، إلا أن غياب هذه الارتباطات النفسية يصلح كذلك أن يكون مؤشراً للحكم على الشخصية المصرية (أنذاك) بالسسوية والاعتدال، فالمصري إذا لم يكن يتحرك فيما أورده التاريخ حوله من ثورات على الظلم والاستغلال من دوافع مغلقة على تصور وهمي لذاته بل كان ينطلق من مبادئ ومشاعر إنسانية عامة دافعاً لظلم أو مطالباً بحق مفترض في أرض أو رزق أو كرامة، أو مطالباً بحرية، وكلها أمور تمنح حركته عبر التاريخ قدرأً من التبل يختفي إذا ما حصرنا مبررات هذا التحركات في رغبة ضيقة الأفق يحركها شعور بأفضلية متوجهة جنسية كانت أو عرقية أو حضارية أو غيرها من أمور.

في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ثار الجيش على الملك فاروق الأول بقيادة مجموعة الضباط الأحرار، وفي عام ١٩٥٣ أعلنت الجمهورية المصرية، وكان اللواء محمد نجيب هو أول

رئيس جمهورية مصرى، وفى أبريل عام ١٩٥٤ أصبح البكباشى جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء، وفى نوفمبر من العام نفسه أصبحت كل السلطات فى يد عبد الناصر الذى تم انتخابه رسمياً رئيساً للبلاد فى يوليو ١٩٥٦.

جاءت الثورة المصرية، قبل أربع سنوات من رحيل المستعمر الإنجليزى - لتصبح - كما يؤرخ لها - بداية الوعى وبداية تكون الشخصية المصرية المعاصرة، وهى إنجاز لا ينبعى التقليل من شأنه، ولكن لا يمكن ذلك أن نغفل عن التنبئ إلى ما أسمحت فيه السياسة التى جاءت بها هذه الثورة - ببنويا قد تكون حسنة - فى تصعيد منحنى تطور الخلل الذى أصاب الشخصية المصرية فى هذا الاتجاه.

ولعل الراعي الراحل جمال عبد الناصر عندما وجه اهتمامه إلى إعادة بناء الشخصية المصرية وفق الشعار الشهير للثورة (ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستبداد) لم يكن يتخيّل إطلاقاً أن محاولات تنفيذ رغبته تلك سوف تصب - عمداً أو مصادفة - في التكريس لما أشرنا إلى نشوئه تواكباً مع الدعوة إلى القومية المصرية، وأن هذه الرغبة سوف يساء استغلالها - بحسن أو بسوء نية - عبر السنوات اللاحقة لتضع اللبنات الأكثر صلابة في التحول الذى أصاب الشخصية المصرية لتصبح المحصلة النهائية شخصية تعانى من تورم في اعتزانها بمصريتها دون معرفة بالحد الأدنى لأسباب هذا الاعتزاز، ودون أن تمتلك مقومات تحويل هذا الاعتزاز المرضى إلى واقع حقيقي.

وربما تفید في تأکید فرضيتنا هذه قراءة لفردات الخطاب (الإرشادي) في الفترة الناصرية (الإعلامي) بعد ذلك إلى عصرنا الحاضر، والممارسات التي تلت على الصعيدين الاجتماعي والسياسي منذ الثورة وحتى الآن.

ولا داعي لأن أذكر هنا بأن هذه القراءة لا تعنى أبداً نفي ما قد تتضمنه أي من الفترات التاريخية التي يرد ذكرها من إيجابيات أو إنجازات أو حتى معجزات، ولكنها - مرة أخرى - تحاول أن تلمس تأثير الممارسات التي تمت في تلك الفترات على نمو الشخصية المصرية، وما تم تمريره إلى بناها الثقافى من أفكار.

### اختراق النموذج المغلق

ولأن المجال هنا لا يسمح بنشر جميع محاور البحث التي تتبعنا فيها أبرز أشكال الممارسات التي رأينا أنها ساهمت في الوصول بالمشكلة إلى ذروتها في فترة الخمسين سنة الماضية على الأقل كما تتبعنا خلالها أيضاً أعراض تلك الشخصيات الثلاثة لدى النخبة من المثقفين والكتاب المصريين من خلال كتاباتهم، ولدى النظام من خلال ممارساته، وربما سنتح الفرصة لنشرها فيما بعد، فإننى حريص على أن أقول أن ما

أثره من نقاش حول الشخصية المصرية وتحولاتها عند وقوع صدمة الاحتلال مع الآخر يتسع ليشمل المجتمع المصري كله نظراً لأنها هي السبود المنيعة التي كانت تفرضها مصر حول أنموذجها المغلق الذي تردد في داخله بحرية مطلقة أفكارها حول العبرية والريادة والتفرد والتمييز، فلم يعد الخطاب المعد داخلياً هو الخطاب الوحيد المتاح أمام المصري بعد الانفتاح المذهل الذي أحديته ثورة التكنولوجيا والفضائيات وأقنية الاتصال، ولم تعد الصدمة الناتجة عن الاحتلال والمقارنة وبالتالي اكتشاف زيف الأوهام الذاتية وخداع الصورة الذهنية مقصورة على أولئك الذين ينتقلون إلى الآخر في محيطة، بل أصبحت صدمة عابرة بعد أن صار الفضاء مكشوفاً على آخرين كثيرين يمتلكون خطابات مختلفة متباينة ومتغيرة في القوة والضعف.

وفي اعتقادى أن الأزمة الحقيقية تكمن في المرحلة الحالية التي ينبغي الانتباه إليها وهي مرحلة تلقى الصدمة التي بدأ المجتمع المصري يتعرض لها بالفعل، دون أن تكون هناك محاولات لتوقع وقياس ردود الأفعال على تلك الصدمة، وبالتالي غياب سيناريوهات متماضكة للتعامل معها، والتجهيز للتحولات المذهلة التي من شأن هذا الانفتاح الصادم أن يحدثها في طبيعة وتركيبة الشخصية المصرية وأضعين في الاعتبار ما عاشت عليه تلك الشخصية طوال عقود من أوهام التفرد والسبق والريادة.

لذلك فإن الحديث عن شخصيات كالمحتاب، والكامن والمنسحب وأطيافيها التي تناولناها بالبحث على صعيد انتقال المصري للعيش في محيط الآخرين، ينطبق أيضاً على المصريين داخل محيطهم الخاص الذي لم يصبح خاصاً بمعنى (منزل وملحق) كما كان من قبل، بمعنى آخر لم يعد (تحت السيطرة) كما كان قبل ثورة الفضائيات المذهلة. وهو أمر يمكن أن نعزّز إليه ببساطة العديد من أشكال التحول والظواهر الجديدة الوافدة على المجتمع المصري، والتغير الحادث في أنماط السلوك لدى الجميع تقريباً، وتحديداً لدى الفئات الأكثر استعداداً للتغيير واكتساب قيم وعادات جديدة كالشباب والمرأة والبنين وبالبساطة من عامة الشعب.

#### هوماشن:

- ١ - عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥ .
- ٢ - د. لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، كتاب الهلال، الطبعه الثالثة القاهرة ١٩٦٩ .
- ٣ - المرجع السابق صفحة ١٨٩ .
- ٤ - المرجع السابق .

## إشكاليات المجتمع المدني وسبل الحل

حافظ أبو سعده

لقد شهد عقد التسعينيات جملة من التغيرات السياسية والاقتصادية - فرضتها التحولات الإقليمية والدولية - وذلك من قبيل التحول نحو اقتصاد السوق، والتحول الديمقراطي، وارتبط بهذه التغيرات تراجع دور الدولة ويزوغر القطاع الأهلي كفاعل جديد، والذي عرف بالقطاع الثالث إلى جانب الحكومة والقطاع الخاص، وبعد إن كانت مفاهيم الرعاية الاجتماعية والعمل الخيري من أهم منطلقات هذا القطاع، طرحت مفاهيم جديدة مثل التنمية والمشاركة الشعبية والتكيف والسعى للتغيير على صانعى القرار السياسي، بل وظهرت نظريات جديدة حول العلاقة بين الدولة والمجتمع تقوم على مفهوم انحسار دور الدولة في المجتمع ومن هذه النظريات والمدارس ما يهتم بما يسمى بمجتمع الشبكات أو مجتمع بلا مركز أو المجتمع متعدد المراكز.

وقد عكست جميع مؤتمرات الأمم المتحدة خلال التسعينيات ابتداءً من قمة الأرض مروراً بمؤتمر القاهرة للسكان ومؤتمر المرأة بيkin ومؤتمر القمة الاجتماعية بكوبنهاجن، أهمية دور القطاع الأهلي كشريك في

---

التنمية وهذه المؤشرات تبني مفهوم الحكم الرشيد بركائزه الثلاث وهي: الدولة والقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية. كما روجت لها سمي بالثقافة المدنية التي تقوم على احترام قواعد الديمقراطية وحقوق الإنسان، وما يرتبط بذلك من قيم التسامح والحوار وقبول الاختلاف، والمؤسسة، والشفافية والمحاسبة».

ومن مظاهر شيوع الثقافة المدنية النمو الواضح سواء على المستوى الكمي أو النوعي الذي شهد了 القطاع الأهلي العربي خلال العقدين الأخيرين، فمصدر متلاً بلغ عدد المنظمات الأهلية فيها عام ١٩٩٤ حوالي ١٦٢٠ جمعية، ولكن الان يبلغ عددها ١٦٦٠ جمعية، أما المنظمات الحقوقية العربية فقد ارتفع عددها من منظمة واحدة وهي المنظمة العربية لحقوق الإنسان وذلك في عام ١٩٨٣ ليصل إلى ٢٦ منظمة أو مؤسسة مدنية تتبنى قضايا حقوق الإنسان المختلفة، ووصل عدد هذه الجمعيات في الأردن وفق تقديرات عام ٢٠٠٠ إلى ٨٥٢ جمعية، وفي تونس ٧٥٦٠ جمعية، وفي الجزائر ٨٤٢ جمعية، وفي السودان ٢٤٦ منظمة، وفي فلسطين ٩٢٦ منظمة، وفي لبنان ١٩٤ هيئة وجمعية، وفي موريتانيا ٦٠٠ منظمة، وفي اليمن ٢٧٨٦ جمعية. وتزداد أهمية هذه الأرقام إذا ما قورنت بما كان عليه الوضع قبل عام ١٩٩٠، ففي السودان مثلًا لم يتجاوز عدد المنظمات حتى عام ١٩٨٩ حوالي ٣٠ منظمة، ولكن في عام ٢٠٠١ ارتفع إلى ٢٤٦ منظمة، كما أن أغلب الجمعيات الأهلية في فلسطين قد أنشئت بعد عام ١٩٩٤.

ويبدى تنامي أعداد الجمعيات الأهلية على أن هناك حاجة مجتمعية لهذه الجمعيات من ناحية اتساع نشاط و المجال اهتمام العديد من الجمعيات الأهلية لتجاوز العمل الخيري وتقديم الخدمات والإعابة إلى الاضطلاع بهمأهام دفاعية مثل حقوق الإنسان والمرأة والبيئة. وهذه المهام تحمل في طياتها دوراً تغييرياً للمواطن والمجتمع ككل، وذلك بالسعى لفرض القيم المشاركة والشفافية وقبول الآخر. كما تتميز الجمعيات الأهلية عن بقية منظمات المجتمع المدني بأنها أكثر تماساً واتساقاً بالطبقات الشعبية والفقراء والمهمشين.

ومن الملحوظ أن توجهات الحكومات العربية قد اتسمت إزاء العمل الأهلي بالازدواجية وغابت عليها المسحة الانتهائية فمن ناحية أولى الاهتمام الدولي خاصة من قبل منظمات الأمم المتحدة وهيئة التمويل بمشاركة المنظمات الأهلية في تحقيق أهداف التنمية وأيضاً نجاحها في سد الفراغ الذي تركته الدولة إلى زيادة اهتمام الدولة بالمنظمات الأهلية، وربما يكون هذا من ضمن دوافع تلك الحكومات لإنشاء العديد من الجمعيات، بيد أن هذا الاهتمام كان انتقائياً بمعنى أن الدعم والمساندة يتم توجيهها للجمعيات التي تتفق مع سياسة الدولة، أو التي تقوم بدور تنموي مكمل لدورها، فمتلاً مشروع الأسر المنتجة

---

في مصر حصل على دعم ضخم من الصندوق الاجتماعي للتنمية وأيضاً الجمعيات المعنية بمسائل الطفولة والأمومة وتنظيم الأسرة، وذلك على خلاف التعامل مع المنظمات الأهلية ذات المسحة السياسية والتي تتعرض للحصار والمواجهة العنيفة، وتتوسع في قفص الاتهام، أما في الدول الغربية فلا يوجد فاصل بين السياسي واللاسياسي في العمل الأهلي.

### دور المجتمع المدني في دعم قضايا حقوق الإنسان:

اتسم بروز المنظمات الأهلية ذات الصبغة السياسية وأهمها منظمات حقوق الإنسان بمثابة من عدم الثقة والتردد في التعامل معها من قبل الحكومات العربية، كما تقع صدامات بين الأخيرة ومنظمات حقوق الإنسان من حين لآخر وقد بلغت ذروة تلك الصدامات في التسعينيات.

وبرغم ذلك نجحت المنظمات الحقوقية العربية في وضع قضايا حقوق الإنسان على أجندة أعمال الحكومات، وكذلك الرأي العام. فعلى سبيل المثال، جاء إشهار المنظمة المصرية لحقوق الإنسان بعد خوضها معركة طويلة مع الجهة الإدارية استمرت ما يقرب من ١٨ عاماً حول قي اسم المنظمة واعتراض الجهة الإدارية على أنشطتها. فقد نشأت المنظمة عام ١٩٨٥ كفرع للمنظمة العربية لحقوق الإنسان. وتقدمت في عام ١٩٨٧ بطلب تسجيل وفق القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤، وهو الطلب الذي قوبل بالرفض من قبل الجهات الإدارية، فلجان المنظمة للقضاء الإداري الذي أيد قرار الرفض وفي عام ١٩٩٢ تم الطعن على الحكم أمام المحكمة الإدارية العليا، وظلت القضية متداولة حتى عام ٢٠٠٠. في هذا الوقت كان قد صدر قانون الجمعيات ١٥٣ لسنة ١٩٩٩، فتقدمت المنظمة المصرية بطلب تسجيل جديد، حيث قررت الجهات الإدارية تأجيل النظر في الطلب بينما على طلب الأجهزة الأمنية، وهو ما يعني امتناعاً سلبياً من جهة الإدارة. فقامت المنظمة بدورها بالطعن على القرار أمام محكمة القضاء الإداري، وحصلت على حكم بالقيد في سجلات وزارة الشئون الاجتماعية في ٢٠٠١/٧/١، إلا أن الجهات الإدارية رفضت تنفيذ الحكم حتى صدور قانون الجمعيات ٢٠٠٢/٨٤ ثم تقدمت المنظمة بطلب تسجيل جديد بناء على الحكم الذي صدر لصالحها، وتم إشهار المنظمة المصرية لحقوق الإنسان كجمعية أهلية، وجاء الاعتراف الرسمي بالمنظمة المصرية من قبل الجهات الإدارية لاحقاً للاعتراف بها من قبل قطاعات اجتماعية وهيئات ومؤسسات وأفراد على المستوى الدولي والمحلّي. ومن ناحية أخرى، ما زالت هناك مجموعة أخرى من المؤسسات الاجتماعية والجمعيات الأهلية التي ترفض وزارة الشئون الاجتماعية إشهارها.

ويرغم ما سبق، نجحت المنظمة المصرية وغيرها من المنظمات العربية في جعل حقوق الإنسان جزءاً من الخطاب الحكومي العربي، ففي عام ١٩٩٠ طالبت المنظمة المصرية بـ«الإلغاء عقوبة الجلد من السجون»، وبالفعل قدمت الحكومة مشروع قانون إلى مجلس الشعب بإلغاء تلك العقوبة في عام ٢٠٠٠، كما يعتبر إنشاء المجلس القومي لحقوق الإنسان ترجمة لضغوط المنظمات الحقوقية على الحكومة المصرية في هذا الإطار.

### المجتمع المدني وقضايا إشكالية:

أصبح مفهوم الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوقت الحالي من المفردات الأساسية في الخطاب العالمي والإقليمي والوطني وجزء لا يتجزأ منه، باعتبارهما يشكلان ركيزة أساسية من ركائز الإصلاح السياسي والذي يعد دوره المدخل الرئيسي لأى إصلاح آخر.

ومن هذا المنطلق بادرت مؤسسات المجتمع المدني العربية بمكوناتها الرئيسية في أوقات كثيرة إلى بلورة الأهداف والغايات والمفاهيم العامة لعملية الإصلاح في المنطقة، مؤكدة على استعدادها الكامل للمشاركة المباشرة مع الحكومة في إعداد وتنفيذ خطة عربية وجذرية للإصلاح، إيماناً من تلك المؤسسات بأن مسؤولية تنفيذ روى الإصلاح ونشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان لا تقع على الحكومات العربية وحدها، وإنما تقع على مؤسسات المجتمع المدني والحكومات معاً.

ولكن منظمات المجتمع المدني تواجهها عدة إشكاليات وقضايا خلافية نطرحها للمناقشة إلا وهي:

#### ١ - إشكالية العلاقة مع الدولة: شركاء / أتباع

فيمراجعة تقارير التنمية البشرية الصادرة سواء من الأمم المتحدة أو من الحكومة المصرية، نجد أنها تتحدث عن مبدأ «المشاركة» بين المجتمع الأهلي والدولة. ولكن الواقع العملي يشير إلى خلاف ذلك سواء على مستوى القوانين والتشريعات أو الممارسات.

فبرغم نص جميع الدول العربية التي لها دساتير مكتوبة على حق تكوين الجمعيات والحق في المشاركة والاجتماع السلمي لأهداف مشروعية اتساقاً مع المعايير الدولية، نجد أن التعامل مع المنظمات الأهلية عبر التشريعات المنظمة لهذه الحقوق كان متناقضاً تماماً مع المعايير الدولية والدساتير المكتوبة، فقد اعتبرت هذه التشريعات أن التشريعات هي حظر تكوين الجمعيات، والاستثناء هو منع هذا الحق بالقيود والإجراءات الصارمة التي يضعها القانون وبالسلطات الواسعة المنوحة للإدارة، فضلاً عن تحديد الدولة لمجالات

عمل المنظمات الأهلية، وهذا معناه أن مبادرات الأفراد محدودة بتصورات الحكومة للأنشطة التي يجب أن تقوم بها الجمعيات.

وقد قيدت الحكومة المصرية وجود نشاط مؤسسات ومنظمات العمل الأهلي من خلال التشريعات المختلفة التي وضعتها لتنظيم عمل هذا القطاع، ولعل القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ من أشهرها تقييداً للعمل الأهلي، مما جعله محلاً للانتقاد والهجوم من قبل هيئات أهلية وعندما شرعت الدولة في طرح مشروع قانون بديل نجح نشطاء العمل الأهلي وحقوق الإنسان على وجه الخصوص في تشكيل حملة من النقاش والحوار حول القانون وهو ما دفع بالحكومة إلى إشراك بعض قيادات العمل الأهلي وحقوق الإنسان في لجنة صياغة القانون.

وبصدور القانون ١٥٣ لسنة ١٩٩٩ أعلنت الدولة مرة أخرى تمسكها الشديد باتجاه التقييد للعمل الأهلي وضربت عرض الحائط باراء نشطائه، بل وما انتهت إليه لجنة الصياغة للقانون ذات الأغلبية الحكومية، وسرعان ما سقط القانون سريعاً بعد أقل من عام لعدم دستوريته بناء على حكم محكمة الدستورية العليا في ٣ يونيو عام ٢٠٠٠ فالسرعة التي اكتنفت عملية تمرير القانون في مجلس الشعب والرغبة في تجنب المزيد من النقاش والجدل، لم تسفر فقط عن الواقع في خطأ إجرائي أدى لعدم دستورية القانون فقط، ولكنّه عكس أيضاً أن الممارسات الفعلية للدولة قد غلب عليها سمة التردد. وجاء القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ حاملاً في جنباته العديد من الإجراءات أو الأدوات التي من شأنها أن تحفظ للجهة الإدارية قدرتها على الإشراف والتدخل في تحديد هامش الحركة الممنوح للجمعيات الأهلية، وهو ما تجلّى في تباين وجهتي نظر الجهة الإدارية ونظر الرافضين للقانون حول المادة (٤٢) الخاصة بإعطاء حق حل الجمعيات إلى الجهة الإدارية، والمادة (٢) التي تنص على اختصاص القضاء الإداري في نظر منازعات الجمعيات والمؤسسات الأهلية، فبموجب القانون تقوم الجهات الإدارية بالإشراف والتدخل في عمل الجمعيات الأهلية بداية من بحث وفحص مدى توافر شروط تأسيس الجمعية من عدمه والغرض من قيامها، وشروط عضويتها وانتخاب مجالس إداراتها، وانتهاء بفحص ومراقبة ممارساتها وميزانياتها، ومدى التزامها بميدان و المجال نشاطها، وكيفية استغلال واستثمار أموالها.

ونضع الحكومات العربية العقبات القانونية أمام عمل المنظمة الأهلية بحجّة الضبط والرقابة والتنظيم، وهذه الأمور مطلوبة ولكن في حدود معينة لا يتبغى تجاوزها، فالذى يحدث خلافاً لذلك، بل وقد يصل الأمر إلى حد معاملة الجمعيات الأهلية بطريقة التقصي والمواجهات الأمنية، فالدولة تمارس نوع من «الوصاية والرقابة» على المجتمع

الأهلي، مما يتناقض مع مبدأ «المشاركة». وهذه المشاركة ينبغي أن تبدأ من دور الجمعيات الأهلية في صياغة القوانين الحكومية لحركتها، وانتهاءً بمشاركتها في صنع القرارات. فالعلاقة بين الدول وتلك الجمعيات علاقة تكاملية وتعاونية وليس صراعية. ويشترط لنجاح العلاقة التكاملية أن يكون ذلك في إطار عمل حكومات ديمقراطية تهتم وستجib لصالح القوى الجماعية والمستهدفة من نشاط المنظمات الأهلية. وفي هذه الحالة قد تنجح المنظمات الأهلية في أن تجعل ما تقوم به الحكومة أكثر فعالية، ويمكن للدولة مساندة ما تقوم به المنظمات الأهلية حيث إنها في وضع يوّهها للاستجابة للاحتجاجات الخاصة لقوى اجتماعية معينة. كذلك تستطيع المنظمات الأهلية ترجمة الاحتياجات المحلية إلى صياغة للأهداف وخطة للعمل خاصة أنها تستطيع أن تقيم علاقات وثيقة بالجماعات المحلية وبالحركات الاجتماعية أو المشروعات التي تساندها. كذلك فإن المنظمات الأهلية أقدر من الحكومات على التحرك السريع لأن هيكلها الإداري أكثر مرنة ويتسم عادة بالروح النضالية.

ومن بين معوقات العمل الأهلي الأخرى، البيئة المعادية لحقوق الإنسان والديمقراطية المتواجدة في عدة دول عربية والتي تتمثل في استمرار فرض حالة الطوارئ، وتفشي التعذيب بصورة وأساليبه المختلفة في السجون والمعتقلات وجود محاكم أمن الدولة العليا والمحاكم العسكرية.. إلخ.

وفي ظل هذه الوضعية المعادية لحقوق الإنسان ولرأى الآخر والتي لا يعلو صوت فيها فوق صوت الحكومة، يناضل نشطاء حقوق الإنسان في الدول العربية من أجل نشر الثقافة الحقوقية بين أوساط الجماهير ويعارضون الضغط السلمي على الحكومة من أجل دفعها لاحترام حقوق الإنسان وادميته، غير مبالين لما يتعرضون له من اعتقالات ومحاكمات وتعذيب.. إلخ.

ولكن السؤال هنا: كيف تكون هناك مشاركة بين الطرفين في ظل القوانين المقيدة للعمل الأهلي والتي من خلالها تفرض الدولة سيطرتها على المنظمات الأهلية بصورة تجعلها تابعة لها، يضاف إلى ذلك البيئة المعادية للديمقراطية وحقوق الإنسان في الدول العربية التي تعوق بشكل أو باخر عمل تلك المنظمات؟.

وفي هذا الإطار، نؤكد أنه لن يتحقق التعاون والمشاركة بين الحكومات العربية والجمعيات الأهلية ولاسيما الحقوقية إلا عبر تخلي الأولى عن نهجها لاستبعاد تلك الجمعيات من العملية السياسية والإصلاحية ولاسيما أنها تمتلك الخبرة الكافية في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية، وكذلك عبر رفع الحصار عن نشطاء حقوق الإنسان والسماح لهم بالتعبير عن آرائهم، وتذليل جميع العقبات والقيود القانونية والإدارية

والمالية أمام العمل الأهلي عامة والمنظمات الحقوقية خاصة من أجل ضمان أولاً أدائها الديمقراطي السليم، وثانياً تنشيط وتفعيل دورها في تعزيز ونشر ثقافة حقوق الإنسان والديمقراطية بين صفوف المجتمع العربي باعتبار تلك المؤسسات، مؤسسات وسيطة بين الحكم والشعوب، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال إصلاح البيئة المحيطة بعمل الجمعيات الأهلية كشرط أساسى للإصلاح الديمقراطي.

ولعل المرحلة الحالية تستلزم إشراك جميع القوى السياسية والمجتمعية ومن بينها قوى المجتمع المدني في العملية الإصلاحية، وفي هذا الإطار، فلابد من تثمين الجهود التي بذلتها مؤسسات المجتمع المدني في مجال إعمال الفكر حول مفهوم الإصلاح في العالم العربي وأولوياته والآليات تنفيذه ومتابعته وبيان مواقف الأطراف المختلفة منه، وظهرت نتائج هذه الجهود في وثيقة الإسكندرية الصادرة عن مؤتمر «قضايا الإصلاح العربي: الرؤية والآليات التنفيذية» وذلك خلال الفترة من ١٢ - ١٤ مارس ٢٠٠٤، وهذه الوثيقة - التي ولدت على أيدي المنظمات الأهلية العربية - تتصف بالشمولية من خلال المحاور التي تبنتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومبادرة الاستقلال الثاني الصادرة عن مؤتمر بيروت في الفترة من ١٩ - ٢٢ مارس ٢٠٠٤، والتي حددت المبادئ العامة المؤطرة لعملية الإصلاح في العالم العربي، ومؤتمرات «أولويات والآليات الإصلاح في العالم العربي»، الذي نظمته المنظمة المصرية لحقوق الإنسان ومجلة السياسة الدولية ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان خلال الفترة من ٧-٥ يوليو ٢٠٠٤، وكان من أهم توصياته إنشاء «منبر الإصلاح الديمقراطي في العالم العربي» بهدف المساهمة في إطلاق وتنشيط عملية الإصلاح في الدول العربية، والملتقى الفكري التاسع للمنظمة المصرية الذي عقد في شهر فبراير ٢٠٠٥ تحت عنوان «الإصلاح الدستوري بين التعجيل والتجميل»، والذي تخوض عنه ميلاد «الميلاد الدستوري المصري» ويضم نخبة من ممثلي المجتمع المدني والأحزاب السياسية وأعضاء مجلس الشعب والشورى وفقهاء القانون الدستوري، ومن بين أهدافه إدخال تعديلات على دستور ١٩٧١ وصولاً لدستور جديد للبلاد يتواءم مع طبيعة المرحلة الراهنة، ويلبي امأل وطموحات القوى السياسية والحزبية والمجتمعية، ويطلق الحرفيات أمام الجميع، وبلغى القوانين الاستثنائية بدءاً من قانون الطوارئ ١٩٨١ إلى قانون الحراسة والعيوب مروراً بإلغاء أو تعديل قوانين الأحزاب ومبشرة الحقق السياسية والنقابات المهنية، والصحافة، ويعيد هيكلة السلطة على نحو يحقق التعادل بين السلطات الثلاث مع هيمنة نسبية للسلطة التشريعية على السلطة التنفيذية، لتراقب أداؤها وتحاسبها وبما يتحقق في نهاية المطاف تحولاً ديمقراطياً للمجتمع المصري.

## ٢ - إشكالية العلاقة بين الداخل والخارج

وتحت هذه النقطة تثار عدة موضوعات مثل التمويل والتقطيع، وعلاقة التمويل بالسيادة الوطنية.. إلخ. وهناك قضايا عملية عديدة يثيرها تمويل المنظمات الأهلية مثل كيفية الحصول على المال، وكيفية المحافظ عليه وتنميته من أجل استمرارية المؤسسة، والطريقة المثلثة لإنفاق المال لتحقيق الفائدة القصوى منه.

والتساؤل هنا: هل الجمعيات الأهلية بحاجة للتمويل الخارجي؟ قضية التمويل على جانب كبير من الأهمية، حيث أنه بلا مصادر مالية للإنفاق على أغراضها لا تستطيع المنظمات الأهلية أن تعمل. وقد اعتمد النشاط الأهلي العربي التقليدي (العمل الخيري) في تمويله أساساً على التبرعات الفردية وأموال الزكاة وإيرادات الأوقاف للأغراض الخيرية وكان نصيب الحكومات قليلاً للغاية. أما المنظمات الأهلية المستحدثة في الدول النامية فتعتمد على المصادر الحكومية من ناحية وعلى التمويل الخارجي من ناحية أخرى. وإن كانت الحكومات قد بدأت في التخلص عن دورها التمويلي. أما التمويل الخارجي فيستلزم ضرورة حل المعادلة الصعبة وهي: إمكانية الحصول على التمويل من جهة والمحافظة على استقلالية المنظمة من جهة أخرى.

في الواقع الأمر أن الجمعيات الأهلية ليست وحدها التي تتلقى تمويلاً من الخارج، فالاحزاب السياسية والقطاع العام نفسه يحصل على تمويل من الخارج! وهنا أؤكد أن جميع منظمات حقوق الإنسان تتلقى تمويلاً، ولكن يتمنى أن يكون مشروطاً بشرطين أولهما: الشفافية وضرورة المحاسبة وإخطار الجهة الإدارية والشئون الاجتماعية والاستئذان منها وثانيها: الإعلان عن الميزانية السنوية. فالتمويل السرى من جهات غير معروفة مرفوض.

وإذا كانت الحكومة المصرية تحظر على الجمعيات تلقى أموال من الخارج فإنها لم تحل مشكلة الكثير من الجمعيات التي تعانى من مشاكل تمويلية، وهناك جمعيات واتحادات لم تتلق أى معونات أو تمويل من الجهة الإدارية لعدة سنوات، أما الصندوق الذى من المفترض أن يدعم الجمعيات، فإن الوصول إليه مرهون بعلاقة إدارة الجمعية بقيادات الوزارة.

## ٣ - إشكالية العلاقة مع الذات

فلابد من التعاون والتنسيق والتشبيك بين المنظمات الأهلية وبعضها البعض، وتبادل الخبرات والمعرفة والمهارات فى القضايا الحقوقية المختلفة، والبعد عن الخلافات

الشخصية، والتخلى عن «الشخصنة» داخل الجمعية ذاتها، لأن ذلك يلقى بظلاله السلبية على العمل الأهلى، فى حين إذا وجدت خطة مشتركة واليات عمل فعالة للضغط على الحكومة، فإن ذلك سيكون له تأثيرات بعيدة المدى، إذ ستنتج هذه المنظمات فى تشكيل لوبي جماعى يحقق المصلحة المشتركة والتى تصب فى الأساس لصالح نصرة قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية.

وإذا نظرنا حولنا إلى خبرات الدول المتقدمة، التى تطور فيها القطاع الثالث إلى حد كبير، سوف يشد اهتمامنا دور منظمات هذا القطاع فى عملية صنع السياسات الامام، وينعكس ذلك على تشكيل لجان عليا مشتركة حكومية وأهلية، وعلى دور فعال للأتصال بالبرلمانين والتواصل معهم، ويجذب الاهتمام قدرات هذه المنظمات على توفير البيانات والمعلومات الدقيقة عن القضية أو السياسة العامة المستهدفة، وكذلك قدرات هذه المنظمات على التحالف معًا والتشبيك لإحداث التأثير مع توظيف الإعلام كالية للتعبير والتأثير.

ويشير كل ذلك، إلى أن تفعيل دور المنظمات الأهلية فى التأثير فى عملية صنع السياسات، يتحقق من خلال عدة أمور، أولها إدراك هذه المنظماتدورها الذى يتخطى تقديم الخدمات ويمتد إلى التأثير فى السياسات العامة.

ثانية: بناء قدرات هذه المنظمات سواء البشرية أو المؤسسية.  
وثالثها: قدرات هذه المنظمات على التفاعل معًا والتحالف من أجل التأثير فى مسار السياسات العامة.

وفي هذا الإطار، فإنه من الممكن بلوحة ميثاق أخلاقي للممارسة بين منظمات العمل الأهلى وتنفيذه بشكل حازم ودقيق على أن يركز هذا الميثاق على المحاور التالية:  
العلاقة بين القطاع الأهلى والقطاع الحكومى.  
العلاقة بين القطاع الأهلى والمنظمات الدولية.  
العلاقة بين القطاع الأهلى والمجتمع资料.  
العلاقة بين القطاع الأهلى نفسه.

مبادئ عامة موجهة لكيفية إدارة المؤسسة داخلياً.  
قضايا البناء الديمقراطى والشفافية والمحاسبة والثقافة المؤسسية والإدارة المالية وغيرها.

وهذه الإشكاليات وغيرها نطرحها للمناقشة بغية إيجاد حلول لها، فبغية نجاح مؤسسات المجتمع المدنى فى تحقيق أهدافها والمهام الموكلة إليها، فإنه لابد من إطلاق حرية تشكيلها عبر إزالة العقبات القانونية والإدارية والمالية التي تواجه عمل تلك

الجمعيات ومساعدتها على التمويل عن طريق القطاع الخاص ومساهمات رجال الأعمال، والاعتراف عملياً بقيم حقوق الإنسان في التشريعات والنظر إليها على أنها أساس التنمية والتطوير والديمقراطية، وزيادة دور مؤسسات المجتمع المدني في صناعة القرار، وإنشاء علاقة مشاركة بينها وبين الدولة وليس علاقة تبعية، وتغيير المفاهيم والمعايير القديمة في عمل ونشاط الجمعيات الأهلية لمساعدتها وصولاً إلى مجتمع مدنى قوى قادر على المساهمة في تعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان.

### استراتيجية تفعيل القطاع الأهلي

تلخص عناصر استراتيجية تفعيل القطاع الأهلي فيما يلى:

١ - إلغاء القيود الواردة بالقانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ الخاص بالجمعيات والمؤسسات الخاصة، والذي يعد عائقاً جديداً يعرقل العمل الأهلي ويعوق تنمية وتطوير المجتمع المدني، هذا بالإضافة إلى أنه يمثل تراجعاً عن قوانين الجمعيات في الدول العربية المجاورة وعلى رأسها المغرب، ولبنان، والمغرب، والعوده إلى النصوص الأصلية الواردة بالقانون المدني التي كانت تنظم العمل الأهلي والتي تم إلغاؤها بالقرار الجمهوري رقم ٣٨٤ لسنة ١٩٥٦م.

٢ - ضرورة ضمان استقلال الجمعيات الأهلية، فحرية تكوين المنظمات والانضمام إليها يجب أن تكون بعيدة عن تدخل الحكومة، كذلك فإن تسجيل وتشكيل المنظمات وأنشطتها لا يجب أن يخضع لتدخلها، كما يجب خضوع تدخل الدولة في حرية التنظيم للرقابة القضائية، وكذلك تطبيق ما أقرته المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وكذلك الدستور المصري من أسس ومبادئ للعمل وهي:

أ - أن لكل شخص طبيعي أو معنوي الحق في المشاركة في تأسيس الجمعيات وإدارتها والانتساب إليها والانسحاب منها بحرية، وأنه لا يجوز وضع القيود على ممارسة هذا الحق غير تلك المنصوص عليها في الدستور والتي تستوجبها ضروريات المجتمع الديمقراطي.

ب - إعمال المبدأ القانوني الأساسي الذي ترتكز عليه حرية الجمعيات هو حق التأسيس دون حاجة إلى ترخيص أو إذن مسبق فالجمعيات تتأسس بمجرد اتفاق إرادة مؤسسيها ولا يجوز أن تشكل إجراءات التأسيس عوائق وعراقبيل أمام تأسيس الجمعيات، ويجب أن تتسم هذه الإجراءات بالسرعة والوضوح والبساطة وبدون تكلفة ولا لا تخضع للسلطة التقديرية للإدارة.

ج - تدار الجمعية بواسطة هيئاتها المنصوص عليها في أنظمتها الخاصة ولا يحق

---

للإدارة العامة التدخل في عملية تسيير اجتماعاتها أو انتخاباتها أو نشاطاتها أو التأثير عليها.

د- للجمعيات الحق في تنمية مواردها المالية بما في ذلك رسوم وترعات الأعضاء وقبول الهبات والمنح والمساعدات والقيام بنشاطات من شأنها أن تحقق لها دخلاً يستخدم في أنشطتها بشرط تحقيق مبدأ الشفافية والمحاسبة.

هـ - يجب الأخذ بعين الاعتبار تناقض الجزاءات مع المخالفات، ولا يجوز توقيع عقوبات جنائية على العمل المدني للجمعيات أو على أعضائها، وفي مطلق الأحوال لا يمكن أن يقرر أو يحكم بتلك الجزاءات إلا من قبل القضاء بعد ضمان حق الدفاع في محاكمة علنية وعادلة.

و- إعمال المبدأ بأنه لا يحق للإدارة العامة حل الجمعيات، ولا يمكن أن تخضع الجمعيات للحل إلا بقرار صادر عن هيئاتها الخاصة أو بحكم قضائي نهائي بات ويعود أن تكون قد استفادت الجمعية من حق الدفاع في محاكمة علنية وعادلة، وفي حالات يجب أن يحددها القانون صراحة وحصراً.

٣- التأكيد على ثقافة بناء المؤسسات المدنية، وذلك عبر دعم وترسيخ عدد من العناصر المحددة لهذه الثقافة، والتي يأتي في مقدمتها العمل على توسيع النزوع نحو العمل الطوعي، وإعمال قواعد المحاسبة والشفافية كقيم أساسية في الممارسة الديمقراطية، وإعطاء مساحات أكبر للثقافة المدنية عبر وسائل الإعلام، وذلك بالتأكيد على قيام المجتمع المدني وفي مقدمتها قبول الآخر، وإعلاء قيم الحوار وتوفير ضمانات الحرية العامة فضلاً عن تعزيز الإعلام النقدي وتوسيع المساحات الإعلامية الخاصة بتغطية نشاط المنظمات غير الحكومية.

٤- ضرورة تفعيل أداء الجمعيات الأهلية عبر:

- رفع القيود التي تفرضها الدولة على عمل الجمعيات الأهلية.  
- قيام الجمعيات الأهلية بدور أساسي في تعليم الديمقراطية، وفي نشر الثقافة السياسية.

- إعمال الجمعيات على المبادئ الديمقراطية في الإدارة الداخلية، وكذلك تداول السلطة في المناصب القيادية بالجمعية.

- قيام الجمعيات بتشجيع التطوع ليكون هو السمة المميزة لعمل الأهلي المصري.

## «المهمشون في التاريخ الإسلامي»

أحمد صبرى السيد على

ربما لا يعد اهتمام د. محمود إسماعيل بالحركات الاجتماعية شيئاً جديداً، من حيث تبنيه للنarrative التاريخية كمنهج للبحث، وهو ما يشتراك فيه معظم الباحثين التاريخيين الماركسيين، إلا أن أبحاث د. محمود إسماعيل تميّز بأنها الأكثر وعياً ونضجاً في استخدام المنهج الماركي والتعامل مع النص، وهو ما تفتقر إليه مثيلاتها من الأبحاث الماركسية والتي تعانى من الازدواجية في تعاملها مع النصوص فترفض بكل جرأة الاتهامات التي يوجهها مؤرخو السلطة لهذه الحركات بالفساد الأخلاقي، ومن ناحية أخرى تقبل بكل بساطة الاتهامات التي يوجهها نفس المؤرخين وفي نفس النصوص لهذه الحركات بالفساد الديني، وهي مفارقة لم يقع فيها الدكتور محمود إسماعيل والذي أدرك مدى الربط المتعمد والمدروس الذي تقوم به هذه النصوص بين الخروج على الحاكم والخروج على الدين.

في كتابه الأخير «المهمشون في التاريخ الإسلامي» يواصل د. محمود

إسماعيل رصده للحركات المجهولة والمشوهة في التاريخ الإسلامي المدون وهو ليس الكتاب الأول في هذا المجال حيث سبقه كتاباه المهمان «فرق الشيعة»، «الحركات السرية في الإسلام» وقد عالج فيما الدكتور محمود إسماعيل العلاقة بين التطورات الاجتماعية ونشوء الفرق الدينية في التاريخ الإسلامي، وبينما الكتاب الأخير كتobiج - ليس نهائياً - لأبحاثه في هذا الموضوع، وقد صرخ الدكتور محمود إسماعيل في مقدمة الكتاب أن غايتها الأساسية هو تقديم تاريخ لحركات المهمشين في صورة مقالات مبسطة للمثقفين العاديين لنشر الوعي التاريخي والذي يؤكد الكاتب على أهميته في قراءة حاضرنا الع decadent والمضلل في آن، ولعل هذا ما يفسر عدم احتواء الكتاب على أي هوماش توثيقية، على أساس أن الكتاب هو تجميع مختصر لنتائج أبحاثه ودراساته في كتبه السابقة.

في هذا الإصدار الأخير قدم د. محمود إسماعيل عدة نماذج لحركات وهبات المهمشين، وقد راعى أن تكون متضمنة لجميع الأشكال والأساليب التي استخدمها العوام في الثورة، وقد تنوّعت ما بين الهبات العفوية، والثورات المنظمة التي امتلكت فكراً عقائدياً وبرنامجاً بديلاً للوضع القائم، وأخيراً التنظيمات العشوائية والتي رغم صدامها مع السلطة لم تكن تمتلك أى برنامج أو أهداف تسعى لتحقيقها، ورغم هذا التنوع فقد افتقد هذا الكتاب الإشارة إلى بعض الثورات الأخرى للمهمشين كانت أكثر قوّة وأوسع تأثيراً لعل أهمها ثورة «بابك الخرمي» في أذربيجان، والثورة «السربدارية» في خراسان، والواقع أن إحدى سلبيات هذا التنوع هي وضع هذه الأشكال من التعبير الثوري في مستوى واحد فقد افتقد الكتاب تقريباً نهائياً لدى جدوى هذه الأشكال من التعبير الثوري في تحقيق مصالح الكادحين، ورغم أن الأبحاث ذاتها احتوت على انتقادات خاصة بكل حركة فإنها لم تتطرق إلى نقد الشكل الأصلي بقدر ما انتقدت الممارسات التفصيلية.

يبدو وأضحاً من مقالات الكتاب استهدافها لتأكيد عدة قواعد في تاريخ الثورات الاجتماعية استقاها كاتب هذا المقال من أبحاثه الطويلة في هذا المجال:

- ١ - عدم براءة المادة التاريخية المتاحة.

- 
- ٢ - دور البرجوازية في رعاية الحركات التنموية والثورية للمهمشين.
  - ٣ - ضعف الوعي الظبي في هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي.
  - ٤ - وحدة تاريخ العالم الإسلامي من حيث حركاته وصيرورته.
  - ٥ - الدور الثانوي للمذاهب الدينية في الصراع الظبي.

إن مناقشة هذه القواعد تمثل في الواقع مناقشة لجزء كبير من رؤية الدكتور محمود للتاريخ الإسلامي والتي تتضح في كتاباته عموماً وعلى الأخص الكتاب الأكثر أهمية في هذا المجال، والذي يمثل مشروعه الفكري والتاريخي «سوسيولوجيا الفكر الإسلامي».

● إن استعراض بدايات التدوين التاريخي يؤكد لنا صحة القاعدة الأولى التي تنص على عدم براءة المادة التاريخية المتوافرة، ففي عام ١٤٣ هـ قام الخليفة العباسى الثانى أبو جعفر المنصور بالتشجيع على تدوين العلوم المختلفة وخاصة علمي الحديث والتاريخ، بهدف خدمة الأغراض الدعائية والإعلامية لسلطة العباسية الجديدة، ومن الواضح أن هذين العلمين على وجه الخصوص وضعوا تحت مراقبة السلطة التي استخدمتها في مواجهة الحركات المناهضة.

والواقع أن وجود صدام طبقي، أو عقائدي، أو سياسى ما بين رأى النص التاريخي والقائمين على الحديث التاريخي الذى يرويه يجعل من المستحيل الحديث عن نص محайд تماماً، فأغلب المصادر التاريخية تتعارض مع الحركات الاجتماعية من النواحي الثلاث. كما أن الاتفاق فى ناحية أو ناحتين لا يعني إهمال نقطة الخلاف الموجودة والتي تلقى بطلالها على ما يرويه المؤرخ.

وعلى سبيل المثال فإن المرويات الشيعية الرسمية من صاحب الزنج تتخذ مواقف سلبية عموماً، ومع ذلك فقد ذكرت المعاجم الشيعية أسماء مؤلفات ألفها بعض الشيعة المقربين من صاحب الزنج، والتي لم يكتب لها البقاء للأسف، كتاب (أخبار صاحب الزنج) لأحمد بن إبراهيم العمى، وقد كانت كفيلة بمنحنا رؤية صحيحة ومختلفة تماماً عن هذه الثورة.

● بالنسبة لقاعدة الثانية فقد عزا الدكتور محمود إسماعيل قصور الوعي الذي

---

---

شاب معظم حركات المهمشين في بعض جوانبه إلى غياب دور البرجوازية والتي وصفها بأنها «عاجزة وهزيلة دافعت عن وجودها والحفاظ على مصالحها، بمهابة الحكومات القائمة وليس بالثورة عليها وتقويض حكمها» وقد أرجع هزال البرجوازية وعجزها إلى عوامل «جغرا - تاريخية» تتعلق بطبيعة المجتمعات الإسلامية الزراعية الرعوية أساساً وبالتالي فلم تتحقق طبقة وسطى قوية وقدرة على الصراع مع الإقطاع العسكري، بل هونت من هذا الصراع وخففت حدته، الأمر الذي أتاح للنظام القائمة الدوام والاستمرار.

إن هذا التصور صحيح بكل تأكيد ومن الممكن إضافة عوامل أخرى لضعف البرجوازية، فالملاحظ أن هناك خلافات بين العالمين الشرقي والغربي في نشأة الدول وأضمحلالها، في بينما تنشأ الدول في العالم الغربي بناء على تطور نمط إنتاج معين، فإن نمط الإنتاج في الشرق ينشأ ويتطور بناء على رعاية ودعم الدولة، وهو يعود بالطبع إلى العوامل الـ «جغرا - تاريخية» التي أشار إليها الدكتور محمود، فالمسألة الزراعية لم تطرح نفسها بقوة إلا عقب تكوين الوحدة السياسية لا العكس، وهذه الوحدات تنشأ في الواقع بالاعتماد على وضعها القبلي والجغرافي وليس الطبقي، أما الطبقة التجارية فهي غير قادرة على خوض صراع مع الإقطاع بشكل منفرد بسبب عدم استقلاليتها وارتباطها بالحكم المركزي وخصوصيتها للأعراف القبلية، وتحول الكثير من أبنائها إلى حيازة الأرض الزراعية، وبالتالي فالازدهار التجاري كقاعدة يعبر دائمًا عن قوة وضع الحكومة المركزية في مواجهة الطموخات الاستقلالية للإقطاعيين العسكريين، في حين يشير الانهيار التجاري إلى سيطرة الإقطاع العسكري وسقوط قوة الحكم المركزي، إن أهم صور هذا الهزال البرجوازي تبدو واضحة في المذاهب الفقهية والعقائدية، فلم يصمد مذهب واحد من المذاهب التي أنتجتها البرجوازية التجارية كالمعتزلة والكرامية والمرجئة، بل إن المذهبين الوحidiين الباقيين من منتجات البرجوازية وهما: الزيدية والإسماعيلية يعانيان من الحصار الجغرافي.

● القاعدة الثالثة تمثل السبب الثاني في قصور حركات العوام وهو «ضعف الوعي

الطبقي» يطرح الدكتور محمود إسماعيل هذه القاعدة كتفسير لقصور كل الحركات الاجتماعية، إلا أن الواقع أن ضعف الوعي الطبقي لا يشمل سوى الحركات التنظيمية العشوائية كـ«الحرافيش» في مصر، وحركات «الأحداث» في الشام، و«الصقور» في المغرب والأندلس، و«الفتك» في آسيا الوسطى، وحركات «الفتوة» في الشام والعراق، إضافة إلى الحركات الحرافية كـ«العيارين» في العراق، والتي لم تكن تملك أى أهداف أو طموحات سياسية، ولم يكن لها برنامج اجتماعي بديل، وبالتالي فقد كان بمقدور السلطة القضاء عليها بسهولة بل واستخدامها في مواجهة أعدائها في بعض الأحيان، فيروى ابن جبير في رحلته عن مشاهداته بدمشق، أن حركات «الفتوة» بالشام والتي كانت مؤيدة من صلاح الدين الأيوبي، كانت تقوم بعمليات اغتيال ضد الأهالي الشيعة في دمشق والذين كانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكانها في تلك الفترة، والغريب أن المثل الأعلى لزعماء هذه الحركات كان على بن أبي طالب!! وهنا يبدو من الواضح استخدام صلاح الدين لهذه الحركات في مواجهة الشيعة الذين اعتبرهم أعدائهم التقليديين لإحداث تغيير في الانتتماءات المذهبية لسكان دمشق، وبالتالي فإن هذه العمليات لا تتم عن أى وعي طبقي أو سياسي، أما حركات العيارين في العراق والحدادين في الأندلس فلم تكن لها أى مشروعات في مواجهة السلطة القائمة لذلك، فقد كان من السهل على السلطة التعامل معها والسيطرة عليها ومن ثم استغلالها.

ومن البديهي أن نجاح الثورة أو فشلها ليس دليلاً على وجود الوعي الطبقي أو انتقامته، ومع ذلك فنفس هذا القدر من الوعي هو الذي نجح العوام عن طريقه في تأسيس دولة القرامطة، والدولة الصفارية، إن الحركات الشيعية والخارجية كانت تمتلك قدرًا كبيراً من الوعي الطبقي كما امتلكت برامج اجتماعية بديلة، وبينما كان الشيعة يمثلون مصالح الفلاحين والحرفيين وصغار التجار وهي الطبقات والشرائح التي استفادت من الإجراءات الاقتصادية التي أصدرها على بن أبي طالب.

والواقع أنه حتى الحركات الاجتماعية والتي فشلت في البقاء لفترات طويلة كانت تمتلك وعيًا طبقياً كثورة بابك الخرمي، وثورة أبي الخطاب الأسدى، وثورة المقنع

---

الخراساني، ولم يكن فشلها ناتجاً عن ضعف الوعي الظبيقي بقدر ما كان ناتجاً عن أخطاء تنظيمية أو سياسية.

● القاعدة الرابعة تبدو مرتبطة برفض الدكتور محمود إسماعيل لنظرية بعض المثقفين المغاربة حول حدوث قطيعة بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وبالتالي فقد ضمن الكاتب خمسة نماذج لحركات وهبات قام بها المهمشون في المغرب الإسلامي والأندلس، وهي بالفعل حملت الكثير من عناصر التشابه مع مثيلاتها في المشرق. وبالتالي لا يمكن الاتفاق على وجود قطيعة معرفية بين المشرق والمغرب الإسلاميين في حين أن كل المذاهب الدينية التي اعتنقها المغاربة قادمة أساساً من الشرق، إلا أنه وفي المقابل هناك بالفعل خصوصية في التاريخ المغربي ففي حين أدت الإجراءات الاقتصادية للخلافة الأموية بالشرق إلى القضاء على الإقطاع القبلي تماماً، كما أدت الثورات العلوية وصعود العباسيين إلى ضعف الانتماء القبلي كوضع اجتماعي، استمرت سيادة هذا النمط في مناطق المغرب إلى فترة متاخرة من الخلافة العباسية، وكانت معظم الحركات المعارضة للحكم تعبرأ عن الصراع ما بين الوضع القبلي السائد في المغرب والأشكال الأخرى للإقطاع في الشرق والتي كانت الدولة العباسية تطمح إلى سيادتها وقد قامت معظم الدول المعارضة للعباسيين بناء على تأييد زعماء قبائل أمازيغية (بريرية) لها.

لقد استدل د. محمود إسماعيل على التشابه فيما بين المشرق والمغرب بحركة «عمر بن حفصون» التي قامت في الأندلس، ورغم اتفاقى مع الدكتور محمود على عدم وجود القطيعة المدعاة بين الشرق والغرب فإن الاستدلال بثورة عمر بن حفصون ر بما لا يمثل الدليل الأكثر واقعية، إن من الخطأ الربط بين تاريخ المغرب وتاريخ الأندلس الذي يمتلك وضعاً اقتصادياً واجتماعياً مختلفاً تماماً عن المغرب فقد كان التنوع ما بين عناصر المسلمين ما بين العرب والأمازيغ إضافة إلى خليط من المولى الفرس والأفارقة وأكثريه من المسلمين من أصول إسبانية دوره في القضاء على سيادة الانتماءات القبلية، خاصة أن المجتمع الأندلسي ذاته لم يكن مجتمعاً قائماً على القبلية قبل دخول الإسلام، فرغم الارتباط الجغرافي والإثنى بين المغاربة والأندلسيين، فإن

---

الأندلس أقرب إلى الشرق من الناحية الاجتماعية والمعرفية، فبعكس المغرب فقد تنوّعت المذاهب الدينية في أوساط الأندلسيين بالإضافة إلى المذهب المالكي، حيث انتشر المذهب المعتزلي، كما انتشرت المذاهب الشيعية على نطاق واسع كالذهب الإسماعيلي، والمذهب الإثني عشرى بل إن ظاهرة العزاء الحسيني المنتشرة الآن بين الشيعة في العالم الإسلامي بنفس طقوسها بدأت أصلاً في مدينة مرسيّة وشرق الأندلس، حيث كان يقام مشهد جنائزى يجسد استشهاد الحسين بطريقه تمثيلية، ويحضر القراء والمنشدون لقراءة المراثي الحسينية، كما ألف الموريسيكيون كتاباً في مجازى الإمام على بن أبي طالب يبدو فيه بوضوح آثار الكثير من العقائد المتناولة بين الشيعة، وبالتالي فقد مثلت الأندلس إقليماً أوروبياً له صفاتٍ الخاصة المختلفة عن الشرق الآسيوي والغرب الإفريقي.

إن النماذج الخمسة التي أوردها د. محمود إسماعيل لا يمثل المغرب فيها إلا بنموذجين وهما حركة «حميم المفترى»، وحركات «الصقور»، وبينما تنتهي الحركة الأولى إلى الطابع المغربي القبلي التقليدي، فإن حركات «الصقور» هي المثال الأكثروضوحاً على عناصر التشابه والتواصل الموجودة بين المشرق والمغرب والأندلس، بل يمكننا أن نؤكد أن التشابه ما بين المشرق الإسلامي والأندلس أكبر من التشابه بينه وبين المغرب، ولعل من الملاحظ على الثورات والحركات الأندلسية رغم اتسامها بانعدام الأيديولوجية الذهبية - وهي سمة كل النماذج الأندلسية التي أوردها د. محمود إسماعيل - ارتباطها أكثر بطموحات العوام وعدم اتسامها بأى ملامح قبليّة، وتمثل ثورة «عمر بن حفصون» الدليل الأكبر على ما للأندلسيين من خصوصية.

● يتبعى القاعدة الخامسة والتي أشار لها الدكتور محمود إسماعيل فى الكتاب فى إطار عرضه لثورتي «الخشبية»، و«الزنجر الأولى والثانية»، حيث أشار إلى ثانوية دور المذاهب الدينية فى الصراع الطبقي، إن هذه القاعدة ربما تصدق على الوضع فى الأندلس كما أشرت سالفاً، إلا أن الأوضاع الاجتماعية فى مناطق العراق كانت مختلفة، فبغض النظر عن الدلائل التاريخية فإن معظم الثورات الاجتماعية كانت لها انتتماءات مذهبية وخاصة التشيع، فقد استفاد الكادحون والحرفيون ومعظمهم من

الموالى - كما أشار د. محمود - من الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية لعلى بن أبي طالب، وبالتالي فقد كان للتيار الشيعي شعبيته الجارفة في أواسط الفلاحين والحرفيين بالكوفة وهم الذين قاموا أساساً بثورة الخشبية بقيادة المختار بن أبي عبيد، ولعل ما يذكره الطبرى عن الشخصية المرتبطة أكثر بهذه الثورة «أبا عمرة بكisan التمار»، وهو مولى فارسي والمحرك الرئيسي للأحداث، أنه عوقب في عهد معاوية بن أبي سفيان بتهمة التطاول على الأمويين والسببية تدليل واضح على تشيع الثورة.

إن السبب الرئيسي لشكوك الدكتور محمود إسماعيل حول ثورة الخشبية هو هذا الكم من المرويات عن المختار الذي يشكك في انتماصاته ويصفه بالانتهازية والتقلب الفكري والمذهلي ما بين الالتماء للأزارقة ثم لابن الزبير ثم التشيع وأخيراً استغلال اسم محمد بن الحنفية والزعم بكونه المهدى المنتظر لجذب شيعة الكوفة إليه.

إن نقد هذه المرويات في الواقع يظهر ما تعانيه من ضعف وتناقض فقد فسرت هذه المرويات اشتراك المختار في الدفاع عن مكة ضد جيش يزيد بن معاوية مع الأزارقة أنه انتماء لهذه الفرقة، على الرغم من أن هذا الدفاع لم يكن بقيادة هؤلء وإنما بقيادة عبد الله بن الزبير، والعجيب أن المرويات التاريخية لم تدع أبداً أن نافع بن الأزرق زعيم الأزارقة من الموالين لابن الزبير بناء على محاربته للأمويين تحت قيادته، في حين فسرت مبادئ المختار لعبد الله بن الزبير كمناورة سياسية لتحييده مؤقتاً في أثناء محاولته السيطرة على الكوفة على أنه ولاء لابن الزبير، والواقع أن المختار كان ولا يزال للشيعة منذ البداية كما شارك في ثورة الحسين وكان أول المستقلين لنذوب الحسين للكوفيين مسلم بن عقيل واستضافه في منزله لفترة أما المرويات التي تنقل عنه الترويج لهدية محمد بن الحنفية فقد نقلت معظمها على لسان العاديين له وللعلويين كعامر الشعبي راوي البلاط الأموي وأبو الحسن المدائى راوي العباسيين، إن الموقف الإيجابي للأئمة العلويين وخاصة على بن الحسين من الثورة والتي حصلت على مباركته تدليلاً واضحاً على عدم صحة هذه الاتهامات والتي تعد تقليدية في مواجهة ثورة امتلكت عقيدة مخالفة للأستقرائية ووعياً طبقياً في مواجهتها.

---

الأمر ذاته ينطبق على الأوضاع في البصرة والتي لم تخل من وجود موالين للعلويين ويرز دور هؤلاء بوضوح في أثناء ثورة الحسين حيث استطاع زعيمهم يزيد بن مسعود النهشلي حشد أتباعه من بنى تميم وبنى حنظلة سراً وتجهيزهم لانتظاراً لوصول الحسين إلى الكوفة، والمعلوم أن على بن أبي طالب هو أول من استخدم الزنج وعنصر الرزق في الدولة كحرس على بيت مال البصرة، وهو ما يعني أن جلهم تم قبل سيطرة الأمويين على العراق، وقد تحسنت أوضاعهم في عهده كغيرهم من الموالى، إلا أن مشاركتهم في الأحداث ظلت قليلة، وتذكر الروايات أن أول انتفاضاتهم كانت في عهد مصعب بن الزبير، الذي خاض صراعاً مع المختار عقب استيلاء الأخير على الكوفة، مما قد يشير إلى علاقتهم بثورة المختار الثقفي.

لقد استدل د. محمود إسماعيل على اعتناق الزنج لمبادئ الخوارج بتقب زعيمهم «شیر رنجی» بلقب الخلافة «أمير المؤمنین»، إن إذاعة الأمويين لهذا الإدعاء يمثل مبرراً فقهياً للبطش بهؤلاء الثوار، إضافة إلى إزكاء سلاح العصبية العنصرية لدى القبائل العربية وهو ما حدث بالفعل - كما ذكر د. محمود - والواقع أن الفكر الخارجي على الرغم من إعلانه أحقيّة كل المسلمين بالإمامنة، فإنه على مستوى التطبيق - في مناطق الشرق - ظل عربياً متزمتاً ولم يتقبل بالفعل أي حقوق للموالى في هذا الشأن، وبالتالي رغم تعاطف الكثريين من الموالى مع الثورات الخارجية نكایة في الأمويين فإن قليلاً منهم فقط هم من اعتنقوا هذا المذهب بالفعل.

على أن علاقة ثورة الزنج الثانية بالفكر الشيعي أكثر وضوحاً، فقد انتسب على بن محمد إلى الإمام على بن أبي طالب وعلى الرغم من الروايات الكثيرة المشككة في نسبة فقد اعترف به العلويون المعاصرون، وانضم بعضهم إليه، كعلى بن زيد وظاهر بن أحمد بن القاسم، ومحمد بن القاسم، والواقع إن إعلان صاحب الزنج لنسبه العلوى هو تدليل على تشيعه، إضافة إلى مناصرة هذا الكم من العلويين له، ووجود شخصيات شيعية إثنى عشرية كالملعى بن أسد العمى بين المقربين له، ولابد من الإشارة إلى الرقابة اللصيقية التي تعرض لها الحسن بن على (الإمام الحادى عشر) والمعاصر له بهذه الثورة في تلك الأثناء والتي انتهت باغتياله كما تروى المصادر

---

الشيعية ولعل وفاته في سن صغيرة تدليلًا على أنها تمت بطريقة غير طبيعية. إن الجانب المذهبي لم يكن ثانويًا في هذه التحورات المطالبة بتطبيق الشعارات الإسلامية في العدل الاجتماعي والمساواة، وبالتالي فقد كان يجب صياغة هذه المطالب والاستدلال عليها بالأيات القرآنية والسنّة النبوية وممارسات الصحابة الأوائل، والتي تعنى بدأهـة اعتماد الثوار لمذهب عقائـى يواجه مذهب وفقـاء الدولة، وتصور التئام كل المستضعفـين بمختلف انتـماءـاتهم المذهبـية تحت راية زعيم واحد يـعد مثالـياً بالنسبة لـهـذه المرحلة التي كانت السـيـادة فيها لـلـفـكـر الـديـنـي، فـمـا تـشـترـكـ فـيـهـ التـحـورـاتـ عمـومـاًـ أنـ زـعـمـاءـهاـ يـسـتـمـرونـ فـتـرـةـ قـبـلـ الإـلـاعـانـ عـنـهاـ يـدـعـونـ لـمـذـهـبـهمـ سـرـاًـ بـينـ العـوـامـ وـالـكـادـحـينـ الـأـمـرـ الذـىـ يـؤـكـدـ التـلـازـمـ مـاـ بـينـ الـثـورـةـ وـعـقـيـدـتهاـ الـدـينـيـةـ وـالـتـيـ تـعـبـرـ أـيـضـاـ بـصـورـةـ ضـمـنـيـةـ عـنـ مـصـالـحـ طـبـقـةـ مـعـيـنـةـ كـمـاـ أـشـرـتـ سـابـقاـ.

لقد احتوى الكتاب إضافة إلى القواعد السابقة على مناقشة لبعض التساؤلات التاريخية التي ما زالت محل بحث ودراسة الكثير من المتخصصين، خاصة في الفصلين الأخيرين، اللذين خصصهما د. محمود إسماعيل لبحث وضع مصر من المد الثوري في التاريخ الإسلامي، والإنتاج الأدبي والإبداعي للمهتمـينـ، وقد أنتـجـ هـذـاـ الـبـحـثـ آرـاءـ مـهـمـةـ سـوـاءـ مـنـ نـاحـيـةـ النـظـرـيـةـ أوـ الـتـطـبـيقـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ التـوـصـلـ إـلـىـ نـتـائـجـ حـاسـمـةـ فـيـ هـذـيـنـ الـمـبـحـثـيـنـ يـحـمـلـ الـكـثـيرـ مـنـ الصـعـوبـةـ فـإـنـ طـرـحـ دـ.ـ مـحـمـودـ إـسـمـاعـيلـ هـذـيـنـ الـمـبـحـثـيـنـ لـلـمـنـاقـشـةـ يـمـثـلـ بـكـلـ تـأـكـيدـ أحدـ عـنـاصـرـ التـميـزـ فـيـ هـذـاـ الـكتـابـ.

## محمد مندور والقضية الوطنية

د.إيمان السعيد جلال

أستاذ اللغويات المساعد

كلية الألسن - جامعة عين شمس

### الجلاء التام «جوهر القضية الوطنية»

حصلت مصر على استقلال صورى بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢، لكن خطوة واحدة نحو الجلاء لم تتخذ. لذلك لم يكن غريباً أن يحمل أول مقال كتبه مندور لصيغة «الوقد المصرى» عنوانه «الجلاء»<sup>(١)</sup> ذلك المطلب الأساسي من الطالب الوطنية، فقد قويت الروح الوطنية قرب نهايات الحرب، وارتفعت حدة المطالبة بانسحاب قوات الاحتلال بعد أن أسفرت الحرب عن نتائج يمكن أن تفيده منها الشعوب المستضعفة، فقد منيت الدول الاستعمارية بكثير من الضعف سواء في ذلك الدول التي خرجم من الحرب متصرفة أو منهزمة.

أعرب مندور في مقاله «الجلاء» عن أمله في أن يرد الإنجليز الجميل لمصر التي ساندتهم في أثناء الحرب، وطالب بوجوب تعديل معاهدة ١٩٣٦<sup>(٢)</sup> التي لم تعد تصلح أن تكون أساساً يحدد العلاقة بين البلدين: «هناك أمل قوى في أن تضع الحرب مما قريب أوزارها، ولا ريب أن هذه الأمة التي وفت بعهودها نحو إنجلترا أكرم الوفاء، تود لو استطاع الإنجليز أن يدركوناحقيقة أمانيتها المشروعة، حتى يستطيع شعبنا أن يحتفظ نحوهم بشعور الماهنة،

بل الود الذى أظهره أيام الشدة، فالامر كله لم يعد الآن بأيدينا، بل بأيديهم هم، وذلك لأنهم - بلا ريب - يدركون أنه ليس أشق على عزة الشعوب الأبية من أن تسلب حريتها، ف يسترقها الأجنبية».

ويقول: «إن بشعينا لحرقة إلى الحرية، وإنه ملن الخير أن يجذب إلى ما يبغى، وما يجوز أن يحتج بنصوص المعاهدة ومواعيدها، فالحرب القائمة قد غيرت - كما قيل غير مرة - جميع الظروف، ولم يعد هناك أى نوع من أنواع الخطر الذى يهدد بلادنا، بعد أن انهارت الإمبراطورية الإيطالية التى كانت تتاخمنا على الحدود الغربية، كما تتاخم السودان فى الحبشه. ومن هنا لم يعد المصرى يفهم سرًا لبقاء جندى أجنبى واحد ببلاده».

ولا يخلو الأمر من تهديد خفى بأن ترتفع حرارة كفاح المصريين ضد الوجود البريطانى، إذا لم يبادر بالجلاء عن مصر.. يقول: «ولا شك أنه إذا لم يتم الجلاء المطلق عن بلادنا عقب الحرب مباشرة سيحس كل مصرى أن بقاء أولئك الجندي يجرح قوميته، ويسلب استقلاله كل معنى، ومصر التى تغار على استقلال البلاد العربية، وتكافح فى سبيله أثيل كفاح لن تنسى نفسها».

ولزيad من التحديد والإيضاح كتب مندور - غير مرة - معدداً الأهداف القومية المصرية التى تسعى إلى تحقيقها، وتسوية موقفها مع الإنجليز.. كتب فى مقال: «مصر ومؤتمر الصلح»<sup>(۲)</sup> يقول: «وأمانى مصر القومية معروفة محددة، وهى تتلخص فى تقرير السيادة، وتعديل المعاهدة، والجلاء، وتحقيق وحدة وادى النيل، ثم وضع قناة السويس تحت سيطرة مصر وحمايتها، باعتبارها جزءاً من بلادنا، وباعتبار أن الخطر الذى يهددنا قد زال، وأننا نستطيع القيام على حمايتها دون حاجة إلى جيش أجنبى».

ووجد محمد مندور - بعد ذلك - أن الأمر ينبعى ألا يفهم باعتباره ردًا للجميل أو باعتباره أمانى قومية، فنؤكد أنها حقوق وطنية.. كتب فى مقال «أمانى أم حقوق»<sup>(۴)</sup>: «إن ما نطلبه اليوم ليس أمانى بل حقوقاً.. وهذا التغيير الذى نقتربه ليس مقصوراً على الألفاظ، بل يتناول الحقائق والمشاعر».

لقد رأينا أناساً يتسامون عن الثمن الذى دفعناه لما نطلب تحقيقه من أمان، ولو أنهم فطنوا إلى أن الأمر أمر حقوق لا أمان لأمسكوا.. فكما يولد الناس أحجاراً، كذلك من حق الأمم الطبيعي أن تعيش حرية ذات سيادة كاملة. ولو أننا فرضنا أن هذه الحرب لم تقم، وأن مصر لم تسهم فيها بشيء لما تغير شيء من حقوقنا ولو جب أن نطالب بتلك الحقوق حتى ترد إلينا غير منقوصة».

### الدعوة إلى النضال

لم يكن محمد مندور من يميلون إلى إثارة الرأى العام، ولكنه بعد حديث طويل متعلق إلى الإنجليز والحكومات المصرية استخدم فيه الجدل والتفنيد بهدف الإنقاذ بمطالب الوطن، لم

يجد مندور بدأً من توجيهه حديثه إلى الشعب.

فكتب مخاطبًا الأمة، وأضاعًا إياها أمام مسؤولياتها، بأن تنتزع حقوقها الدستورية المشروعة في تقرير مصير البلاد.. كتب في مقال: «الكلمة الآن للأمة»<sup>(٥)</sup> يقول: «لن له حق أن يعمل للوصول إليه. وإذا كانت حقيقة أمة تستحق الاستقلال، وترى أن تتمتع بسيادتها الخارجية، فعليها أن تثبت أولاً قدرتها على التمتع بالاستقلال الداخلي والسيادة الشعبية.

إن أمة على أبواب البت في معاهدة عاتية تقيدها بالتزامات ثقيلة لم يعد لها ما يبررها. إن أمة يراد تكبيلها بقيود وأعباء جديدة، في حلف عالمي يسمونه هيئة السلام، دون أن تفهم لذلك سرًا، ولا تجده له مقابلًا. إن أمة لها ملايين الجنينيات من الدين إذا لم تدفع بسيادتها حاليها الاقتصادية كلها واضطربت عملتها. إن أمة مطروقة طويقًا اقتصاديًا يشن تجارتها الخارجية صادرًا وواردًا.. إن أمة في أمس الحاجة إلى ثورة إصلاحية داخلية تتناول جميع نواحي حياتها الاجتماعية والثقافية. إن أمة تهب لاستغلال مواردها المعطلة حتى تكافح الفقر، ولا ترى أن تقع تلك الموارد في أيدي الأجنبي أو في أيدي الجشعين من أبنائها.. إن أمة هذا شأنها لابد لها إذا أرادت الحياة من أن تتحرك، وأن تطالب بحقها في تقرير مصيرها، ولا يجوز لها أن تنتظر عونًا من أحد، أو تنتظر هبة من حكومة لا ترى أن تستمع إلى صوت العقل».

وأطلق هذه الزمرة، بعد أن ضاق صدره بالماطلة، فكتب في مقال «سياسة كسب الوقت»<sup>(٦)</sup> يقول: «أما لهذا الليل من آخر؟ سبحانك ربى! أهكذا قضيت على هذه البلاد الشريفة وعلى هذا الشعب المجيد أن لا تتحقق للوطن عزة، ولا للفرد عزة؟! ولكن الذي لم يدوم، ولكن شباب هذا الوطن وشيوخه، ولكن رجاله ونساءه، ولكن أحبياء وشهداءه سيعرفون كيف يفكرون إسارهم ويستردون حرياتهم، ويعيشون كرامًا، أو يموتون كرامًا. فليراغب الإنجليز كما يريدون، ولি�تحايلوا حتى لا ندرك فشل المفاوضات إلا بالتجزئة، وعلى أمد طويل، ولتمكنهم الحكومة المصرية والمفاوض المصري مما يريدون.. فإن كل ذلك لن ينال شيئاً من روح الجهاد التي استيقظت في الشعب، والتي لن تبات.. ولعلم أولئك وهو لاء الشعب ماض إلى ما يريد، وهو لا يريد غير الحرية، الحرية الساحرة العطر، الحرية الشريفة التي لا تساوى الحياة بدونها قلامة ظفر.. وكيف يقف شعب أو يستقيم إلى ذل، وهو يعرف حق المعرفة أن المعتدى على وطنه كالمعتدى على عرضه سواءً بسواء».

### استقلال البلاد العربية

ويربط مندور بين قضية مصر الوطنية، وقضايا البلاد العربية التي تعاني مراة الاحتلال.. كتب في مقال: «استقلال الدول العربية»<sup>(٧)</sup> يوضح حقيقة النضج السياسي الذي بلغه العرب، بما يعني استحالة قبولهم الاحتلال والأطماع الاستعمارية في بلادهم، مستخفاً بمنطق الاحتلال والسيطرة على أراضي الغير بالقوة: «وانه حقيقة لأمر عجيب أن تخرج دولة

من الدول من بلادها لتضع يدها على مستعمرات وأسواق تجارية، ثم تريد لتضمن طرق المواصلات إليها أن تحتل البلاد التي تقع على تلك الطرق... وأشد من ذلك غرابة أن تستخدم الدول المحتلة قواتها ضد أهالى البلاد المقيمة فيها لتلزمها طاعتها، ولتبتز منها ما تريده من امتيازات.

والحقيقة أن الأمر ليس قاصرًا على موقع استراتيجية، بل إنه ليمتد إلى امتيازات اقتصادية وتجارية، هي في الواقع مدار المعركة. والعرب الآخذون عددهم في الأزيد، والآخذة ثقافتهم في النمو وشعورهم الوطني في الاختداد حريصون على أن يستكملا استقلال بلادهم، وأن يحتفظوا بموارد ثروتهم بين أيديهم وأن ينزلوا كل عقبة تنهض أمام المشروعات الإصلاحية التي يريدونها، حتى تستقيم جياثهم الاجتماعية، وتحقق فيها العدالة الواجبة. وهم في صراحة غير مطمئنين إلى أن الأوروبيين ينظرون بعين الرضا إلى نهضتهم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وذلك لأنهم يعلمون أن مثل هذه النهضة لابد أن تحطم أغلال الاستعباد».

«ونحن نبغي أن نسير قدماً في مضمون الحضارة دون أن يعيقنا أجنبى عن ذلك، أناقية منه وظلمأً باعياً، وذلك لأننا شعوب قديمة، لها كبرياتها، وليس أشق على نفوسنا من أن ينظر إلينا كأفراد أو كأمم نظرة الصغار. ونحن نعلم اليقين أننا لكي نستحق إكبار الغير لابد أن نجاهد لنكون شعباً حراً، أو أفراداً أحرازاً يعيشون في مستوى مادي واجتماعي لا يقل عن مستوى الدول الأوروبية. ويقيننا أنه لابد من استقلالنا استقلالاً تاماً، لنصل إلى هذه الأهداف.

ونحب أن يفهم الأوروبيون أننا ندرك تمام الإدراك أن العالم قد أصبح إلى حد بعيد وحدة اقتصادية وثقافية، وأننا لا نرفض التعاون وتبادل المนาفع مع غيرنا من الدول، ولكننا نريد أن نقيم ذلك على أساس من التفاهم الصريح.. وأما النفاق من جانبنا أو جانبهم، وأما المراوغة والمداورة فهذه طرق عتقة عقيمة».

### السودان ووحدة وادي النيل

كان السودانتابعًا لمصر بمقتضى معاهدة لندن ١٨٤٠، وبعد الاحتلال البريطاني لمصر سيطرت بريطانيا على السودان وفرضت على مصر اتفاقية ١٨٩٩ اللتين أوجدتا الحكم الثنائي المصري البريطاني للسودان، بينما انفردت بريطانيا بالإشراف الفعلى عليه. وأخذ النفوذ المصري في السودان يتقلص بخاصة بعد حادثة مقتل السيرلى ستاك سنة ١٩٢٤. وحاولت الحكومات المصرية في المفاوضات التالية للحادث أن تسترد كثيراً من سلطاتها في السودان دون جدوى.

وقد نصت معاهدة ١٩٣٦ على أن تستمد إدارة السودان من نصوص اتفاقية ١٨٩٩، مع تأجيل الاعتراف بالسيادة المصرية في السودان.



لكن السودانيين أخذوا يتطلعون إلى حق تقرير المصير، وضرورة إبداء رأيهم في المعاهدة، بعد تجاهل رأيهم عند عقد معاهدة ١٩٣٦. وظهرت الحركة الوطنية السودانية التي ضمت تيارين وطنيين، أحدهما يؤمن بالوحدة مع مصر ويريدها، والثاني يسعى إلى الانفصال عن مصر، وهو التيار الذي سانده الإنجليز بما زعمواه حول السودنة والحكم الذاتي للسودانيين.

شغل مندور بمشكلة السودان، وحدد طبيعتها في مقال: «المشكلة السودانية»<sup>(٨)</sup> فاذاً أن الاحتلال البريطاني للسودان كان جزءاً من خطة الإنجليز للإلاحتاطة بمصر من حدودها الجنوبية، متنهياً إلى أن خروج الإنجليز من السودان أمر بالغ الصعوبة. يقول موضحاً تمسك الإنجليز بالسودان، وأساليبهم في إفساد علاقته بمصر: «الإنجليز إذن حريصون على البقاء في السودان لقيمة الحرب، وبخاصة قيمة موانئه على البحر الأحمر من جهة، وقيمة الاقتصاد من جهة أخرى، وهو يستخدمون في سياساتهم هذه شتى السبل، فأحياناً يقولون باستفتاء السودانيين، وأحياناً يلوحون لهم بالحكم الذاتي، وفي النهاية يغرون بعض السودانيين ذوى الطموح بتمكينهم من بعض الوظائف السودانية، وكل هذا خداع في خداع.

فالاستفتاء يستنكره السودانيون أنفسهم، لأنّ سيجري تحت ضغط السلاح البريطاني.. والحكم الذاتي ليس إلا إسراً.. وأما الوظائف، فساند مخدوع من السودانيين من يظن أنه سيلى منها وظيفة واحدة ذات نفوذ، مادام الإنجليز يحتلون بلاده.

وإذاً فكل ما يلوح به الإنجليز للسودانيين ليس إلا خداعاً، وهو إذا لم يربطوا مصيرهم بمصير مصر ربّاً صریحاً قلباً نخشى أن يقعوا فريسة في يد الإنجليز، ويطول بهم الاستعمار، فلا يصلون إلى حكومة ديمقراطية مركبة، ولا إلى اتحاد مع مصر».

ويدعو البلدين لتوحيد الموقف لصالحهما معاً: «إن المشكلة السودانية يجب أن تناقش في صراحة، وأن يسارع المصريون والسودانيون فيصلوا إلى كلمة سواء ويعلم الجميع أن الاستعمار إذا فرق بينهم سيكون للجميع الويل.. وما يجوز أن يخدع أحد منا نفسه، فمصر والسودان محتلان، والخلاص من الاحتلال يتطلب جهاداً».

#### فلسطين قضية كل العرب

كتب محمد مندور في أعقاب حرب ١٩٤٨ مقال «لن نقبل الركود لقضية فلسطين»<sup>(٩)</sup>. يقول: «لقد تنفس العرب الصعداء عندما تحركت الجيوش العربية في ١٥ مايو الماضي للقضاء على عصابات الصهيونيين، وتخلص العرب من أثامها، والمحافظة على فلسطين الشهيدة قطرًا عربيًا موحدًا، وبخاصة إذا ذكرنا أن كبح جماح الصهيونيين لن ينفذ فلسطين وحدها منهم، بل سينقذ البلاد العربية كلها، إذ إنهم كالسرطان الذي يخشى أن يتشعب في جميع الجهات، وأن ينفتح سمومه في جميع الأقطار العربية حتى ليصح القول

وكتب يوضح المخطط الاستعماري البريطاني لاستمرار السيطرة على مصر تحت اسم الدفاع المشترك.. في مقال عنوانه «هل يصل الإنجليز إلى ما يريدون»(١٢): «وها هم الإنجليز قد تماذوا في سخريتهم منا، وبلغ بهم الخبث الاستعماري أن اخترعوا مجلساً مشتركاً للدفاع، تواترت الآنباء لسوء الحظ أن الحكومة المصرية الحالية، ومعها نفر من المفاوضين قد قبلوا مبدأه، وراح رئيس الوزراء، ورئيس المفاوضين يهون من خطره الداهم، إما بالقول بأنه استشاري، وإما بمحاولة ربطه بنظام الأمن الإقليمي أو بقياسه باتفاق كندا والولايات المتحدة، وكل هذه حجج باطلة كما أوضحتنا نحن، ووضع غيرتنا من رجال السياسة والقلم، فالاستشارة عرفنا من سنين أن معناها عند الإنجليز الإماملا.. وأما ربط هذا المجلس الذي سيتحكم في جيșتنا وفي كافة مرافقنا وطرق مواصلاتنا وموانئنا ومطاراتنا بصفة دائمة، كما قال رئيس الوزراء نفسه، فأمر واضح البطلان.. ولن يستمر مصر مجاورة لإنجلترا، ولا مكافحة لها، ولا طلقة من سيطرتها الاستعمارية كما هو الحال بين كندا والولايات المتحدة، ولقد كان في خلق مجلس الأمن ما كفى ويكتفى عن مثل هذه الاتفاقيات، والتي لا علاقة لها إطلاقاً بدعوى المحافظة على الأمن والسلام الدوليين».

### القوى الدولية الجديدة

وهي القوى الصاعدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية. فقد خرجت الإمبراطورية البريطانية من الحرب وقد تفوقت عليها قوتان عظيمان. وقد أكد متذوّر في مقالاته أن الشرق العربي لن يستبدل سيداً بسيد، أى أنه لن يستبدل الاستعمار السوفياتي بالاستعمار الإنجليزي أو الأميركي. وبين نمو الوعي السياسي المصري والعربي، بما جعل العرب جميعاً يبغضون الاستعمار أياً كانت وجهته.. يقول في مقال: «الشرق الأوسط بين روسيا وإنجلترا»(١٣): «الجنس العربي كله لم يعد يطيق صبراً على الاستعمار، أياً كان المستعمر وهو بلا أدنى ريب لا يريد أن يستبدل سيداً بسيد، وإنما يريد أن يتحرج، لأنه يعتقد أنه وصل من الوعي السياسي والتقدم المادي إلى مرحلة لا يمكن أن يستمر معها استعماره». ويؤكد متذوّر أن الشرق العربي - ومعه مصر - يريد في إطار هذا الوعي أن يستعين بالاتحاد السوفياتي، وأن يفيض من تأييده لقضايا دون أن يعني ذلك وقوعه تحت سيطرته: «من الطبيعي أن يستمع العالم العربي بسرور إلى معاونة روسيا لقضايا الوطنية، وليس يعنيه بعد ذلك أن تكون روسيا مدفوعة إلى ذلك بدافع أنانى أو إنساني، وهو يدرك تماماً الإدراك أن البشرية ليست بها ملائكة، وأن المنفعة لأبد أن تنازع كل شعور، وأن تنازع البقاء، وتصارع القوى جبلاً ثابتة في البشر».



ثانياً: القضايا الاقتصادية والاجتماعية

نشر محمد مندور عقب عودته من فرنسا مقالات عده في مجلة الثقافة، اتجه فيها إلى عرض أفكار كلية؛ وربط بين مشكلات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر ربطاً وثيقاً كما فعل في مقال: «ستور الإصلاح، بؤسنا المادي» ١٩٤١/٢١٠. ومقال: «الثقافة والديمقراطية الاجتماعية» ١٩٤٢/١١٢. ثم قام بعد ذلك ببسط هذه الأفكار المتراطة المتداخلة حينما أتيحت له فرصة رئاسة تحرير المصري، والوفد المصري والبعث وصوت الأمة.

وإذا كانت الشهور الثلاثة التي قضتها في رئاسة تحرير «المصري» غير كافية لعرض أفكاره الإصلاحية في السياسة والاقتصاد والمجتمع، فإن فرسته كانت رحبة في الصحف الأخرى.

انطلق محمد مندور في تأمله الحالة الاجتماعية المتردية لطبقات الشعب الفقيرة من الحالة الاقتصادية، ومن ثم فإن الإصلاح الاجتماعي غير منفصل عن الإصلاح الاقتصادي. كتب في مقال «مشكلة الفلاح» (١٤) يقول: «الأساس العام لحل مشكلة الفقر في البلاد هو العدالة في تمكين الأفراد من وسائل الإنتاج، وكسب كل رجل قوته اليومي بعرق جبينه». لذلك رفض مندور إحسان الغنى على الفقير، وطالب بإعادة توزيع الثروة في مصر، وأكد أن ذلك لن يكون بتحديد الملكية الرزاعية، وإعادة توزيع الأراضي فقط، بل بإعادة توزيع العقارات والمصانع والمناجم وغير ذلك.

إن الحل الطبيعي لمشكلة الفقر في البلاد سيحتاج بلا ريب إلى استغلال أتم لمصادر ثروتنا، وتنمية لإنتاجنا العام، ولكنه أيضاً متعلق أشد التعلق بمشكلة التوزيع، ولهذا لا نستطيع إلا أن نؤيد الاقتراح الذي تقدم به الشيخ المحترم محمد بك خطاب إلى المجلس لووضع حد أعلى للملكية، كما أنشأنا مازلنا نطالب بإتمام تشريعات العمال والفلاحين بوضع حد أدنى لأجورهم، وتنظيم وسائل التأمينات الاجتماعية التي تقيم شر التعطل والشيخوخة والمرض وذل الإحسان.

ثم إننا قلنا ونكرر أنه لم تعد في بلاد العالم المتقدم أمم لا تأخذ اليوم نظمها المادية بمبدأ التصاعد في الضريبة غير مصر، وهذا المبدأ هو الذي سيمكن الحكومة من أن تبني مواردتها لتنهض بمرافق هذا الشعب المسكين. وثمة ضريبة التركات، وهي الضريبة الوحيدة التي تتناول رأس المال بإعادة التوزيع، لذا لا تقرر في نسب تصاعدية كافية لإعادة توزيع الملكية في بلاد لا يستند فيها حق الملكية تاريخياً إلى كسب الإنسان وعرق جبينه.

هذه هي السبيل فليسلكها وليدع إليها من يريد في شجاعة حل مشكلتنا الاجتماعية. وأما الإحسان، وإطعام الإنسان لأخيه الإنسان وجبة طعام شفقة به، فذلك شعور. جارح لكل إحساس إنساني، وهو خلائق بأن يميت في نفوس أبناء هذا الشعب الكريم ما فيها من

كرامة».

ويؤكد في مقال «الحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية»<sup>(١٥)</sup> على ضرورة الجمع بين المشكلتين الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم الجمع بين الحرفيتين الاقتصادية والاجتماعية لأن مشكلة الفقر والتحرر من استعباده إنما هي مشكلة إنتاج الثروات، وتوزيعها معًا، ولن يغنى علاج الإنتاج عن ضرورة علاج التوزيع ووضعه على أسس سليمة من العدل.. وفي المبدأ القائل بأن لكل بحسب كفائه، وكل كفأة بحسب ما تعمل، ما يغنى عن كافة المذاهب وهذا مبدأ أخلاقي إنساني لا يمكن إلا أن يقبله كل ضمير إنساني وكل تفكير سياسي نزيه».

«إن باستطاعة بلد من البلاد أن يقضى على الاستغلال الأجنبي، وأن ينمى موارد الثروة في بلاده، ومع ذلك لا تتحقق الحرية الاجتماعية فيه وذلك لانتقاء ما سميه ولا نزال نسمية بالعدالة الاجتماعية.

إنه من الممكن أن تتصور بلدًا من البلاد يعج بالثروات، ومع ذلك يظل السواد الأعظم من شعبه مستعبدًا للفرد مستذلًا للعون، وذلك لأن طريقة كسب الثروات وطريقة توزيعها بين الناس لا تستند إلى أسس عادلة؛ فلا العامل يحصل على ثمرة عمله، ولا الموظف يتقاضى المرتب الذي يتافق مع وضعه الاجتماعي ومسؤولياته في الحياة، ولا أعباء ضريبية توزع على أسس عادلة، ولا الدولة تنهض بواجباتها العاجزة عن القيام بمتطلباتها لتأصل الآفات فيها».

وطالب مندور بتدخل الدولة لضمان كثير من الحقوق، وهو مبدأ عرف في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وظهر باعتباره رد فعل لمذهب الحرية في الحياة الاقتصادية.

وتدخل الدولة في الحياة الاجتماعية يتبع التوازن بين الطبقات، ورعاية حقوق كل طبقة. كتب في مقال «وظائف الدولة»<sup>(١٦)</sup> يقول: «في الحياة الاجتماعية، نرى أن مصر بلغ فيها الظلم الاجتماعي حداً كبيراً، وإذا كان العالم كله قد سار نحو التدخل لإنصاف الطبقات المظلومة، أنتي نحن اليوم ونقول للدولة خذ بمبدأ الحرية، مبدأ سميث وريكاردي، ودعى الفرد يعمل، والتجارة تمر؟ لقد أسفرت تلك النظرية عن الحالة التي يعانيها كثير من الشعوب، وبالتيت القوى كان قوياً بنفسه ولكنه قوى بالوراثة، فصاحب رأس المال يستغل العامل، والمالك يستغل الفلاح والناشر يستغل الكاتب، وليس لهؤلاء إلا أن تحميهم الدولة. لقد وضع العالم المتحضر تشريع العمال، وهذا هو التدخل، واستخدم نظام الضرائب لتحقيق العدل الاجتماعي، وهذا هو التدخل، وأقام الهيئات تقضي بين صاحب العمل والعمال، وهذا هو التدخل. والدولة بعد لم تعد حاكماً مستبداً، بل أدلة تنفيذ لإرادة الأمة. ثم من الذي سيضمن للفرد علاجه من المرض وقوته إذا أدركته الشيخوخة، أو العاهة أو البطالة، أترك ذلك للشعب؟

بقي النشاط الاقتصادي وهذا تدور المعركة.. فأصحاب الديمقراطيات الحرية يرون أن المنفعة الشخصية هي أهم ضامن للنجاح في الحياة الاقتصادية. والدولة كشخصية معنوية ينقصها هذا الحافز. وهم يريدون أن يتركوا الفرد يتنمّى في نفسه روح المبادأة، والقدرة على تحمل المسؤوليات.. ولكن المصلحة الفردية مصلحة أثرة مدمرة، فهناك مصلحة الأمة، ومصالح الآخرين، فإذا تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد مع مصلحة فرد آخر من يوفق بين هذه المصالح إن لم تكن الدولة؟

انظر مثلاً إلى شركات الاحتكار كشركات الماء والكهرباء ببلادنا، ماذا يكون مصيرنا إذا لم تتدخل الدولة لحماية مصالحتنا نحن المستهلكين؟».

ومن ناحية أخرى يشيد مندور باتساع فهم مواطنه لقضايا الوطن، ونمو وعيهم بمشكلاته التي لم تعد سياسية فقط، وأندفاع المواطنين طلبةً وعمالاً إلى ساحة النضال.. كتب عبد تأسيس اللجنة الوطنية للعمال والطلبة مباركاً هذا التفاعل بين فئات الشعب، وهذا الاقتحام لقضايا الوطن المعلقة. كتب في مقالة: «حدث خطير: اتصال المثقفين بالعمال» (١٧).

«في سنة ١٩١٩ كانت الحرية سياسية بحثة، فليس لها إلا هدف واحد هو إلغاء الحماية وتحقيق الاستقلال، وأما اليوم فقد أصبح من الواضح أن الحركة القائمة لا تعتبر تحقيق الاستقلال نفسه الغاية النهائية التي يقف عندها الجهاد، وذلك لأن الفرد قد أصبح يدرك إدراكاً واضحاً أنه لا خير في إلغاء البرق الخارجي إذا دام البرق الداخلي جاثماً على صدره، وأنه لا جدوى من أن يصبح الوطن عزيزاً إذا ظل الفرد ذليلًا، بل إن التخلص من الاستعمار نفسه ليس إلا وسيلة لرفع مستوى الحياة بين طبقات الشعب، وذلك بمنع الأجنبى من أن يستغل مصادر الثروة في بلادنا».

وليس يكفى أن ندافع عن قوتنا وقوت أبنائنا ومواطنينا ضد الأجنبى، بل لابد من أن ندافع عنه أيضًا ضد المستغلين من المصريين من الآثرياء الجشعين حتى تتحقق العدالة بين الناس، وتتاح الفرص لكافة المواهب، ويفسح المجال لكل نشاط إنساني منتج.

وهذا التفكير هو أقصى ما كانا نلمع فيه، والبلاد كانت بلا ريب سائرة نحوه، ولكنه قد ظهر أخيراً بصعوبة واضحة، وما نظنه سيقف بعد اليوم. قبل أن يبلغ أهدافه التي تتلخص في الديمocratic السياسية والعدالة الاجتماعية إلى جوار استقلال وادي النيل».

«والذى لاشك فيه هو أن الأمر لم يعد يحتمل تسويقاً، فجموع الأمة عاقدة العزم على تغيير الأوضاع الاجتماعية القائمة وإعادة النظر في الهيبة السحرية التي تفصل بين الغنى والبؤس فى مصر».

«وإذا كانت هناك طبقة كبيرة من الأمة، وهى طبقة الفلاحين لم تدرك بعد مدى ما هي فيه من بؤس، ولا تحركت للخلاص منه فإن ذلك أتى عما قريب».



### **الهوماش والتعليقات**

- (١) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٢/١١.
- (٢) وقعت مصر مع بريطانيا معايدة ١٩٣٦ التي أطلق عليها معايدة الصداقة والتحالف، وتمتد عشرين عاماً من تاريخ توقيعها، وتلزم مصر بتقديم كل صور المساعدة لبريطانيا طالما كانت الأخيرة في حالة حرب. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية جدت مطالبة المصريين بإلغائها.
- (٣) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٢/٢٧.
- (٤) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٣/١٢.
- (٥) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٨/١١.
- (٦) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/٦/٤.
- (٧) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٦/١.
- (٨) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/٤/١٠.
- (٩) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٧/٢٦.
- (١٠) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٣/٢٦.
- (١١) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٢/١٩.
- (١٢) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/٧/٨.
- (١٣) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/١/٧.
- (١٤) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٤/١١.
- (١٥) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٢/٤.
- (١٦) مجلة الثقافة، ١٩٤٤/١/١١.
- (١٧) مجلة البعث، ١٩٤٦/٣/١.

## سكة العشق الأصيل

### محمود الشاذلي وتنويعات على لحن الصمود.. الولادة

#### فريدة النقاش

شهدت السنوات الأخيرة ازدهاراً كبيراً لشعر العامية المصرية فتنوعت الأشكال وتعددت الأجيال، وفوق هذا وذاك توغل تأثيره في الحياة الثقافية والأدبية حتى كادت قوته تتواءم مع قوة تقدم الشعب إلى ساحة الفعل والتقرير. يمد شعر العامية جسوراً إلى الجمهور الواسع لا فحسب لسهولة انشاده أو لأنّه مكتوب بلغة أقرب إلى الشعب وحياته اليومية وإنما لأنّ توجهات الغالبية العظمى من الشعراء هي توجهات شعبية وذات مضامون متجدد دائمًا يسعى إلى أن يكون ثورياً ومقاوماً.

وهذا هو الديوان الأول لمحمود الشاذلي الشاعر الذي يحمل لمعات من كل هذه الموصفات مجتمعة ويضيف إليها إسهامه هو: ذلك الاقتراب الصبور من اللغة الفصحى مع الإبقاء على جوهر النسيج العامي وخصوصيته ولو أننا لا نريد أن نستبعد التجربة التي أخذت

سماتها تتسع عدد مهم من الشعراء بدءاً من قاعود والبنودي وانتهاء بحسين حموده وعبد العزيز عبد الظاهر فإن تداخل العامية والفصحي وتطعيم العامية بالفصحي يعني من بين ما يعني أن ثمة ارتقاء موعوداً بلغة الشعب هو سبيله إلى التبلور. وإننا بإزاء حساسية جديدة تتخلق ملامحها وتتوسّع بسرعة النهوض العام وارتفاع مستوى الثقافة العام أيضاً.

محمود الشانلى واحد من شعراء هذا الجيل الذين يصعب جداً فصل تجربتهم الكفاحية عن مجمل إنتاجهم وعن مراحل تطوره وأشكاله.. فهو ابن حىٌ شعبي فقير هو حىٌ «الدرب الأحمر» يتسم فقره بخصوصية مجاورته للأزهر حيث سلطة الدين وقوته الروحية القاهرة تتجسد بصورة مادية مباشرة ومجاورته أيضاً لحىٌ الباطنية، حيث يعيش في عالم شبه سرى كبار تجار المخدرات ويصنون محيطاً من العملاء والخدم والصبية والنسوة ويشكلون تركيبة اجتماعية تحيا على عالم البناء الطبقي الصارم وتطعمه وتفرز فيه سؤاتها هناك أيضاً كبار تجار القاهرة.. وهناك تتكددس المقابر بالسكان البؤساء كل طرف يترى بالآخر وتكتسب عبارات الاجتماعية عادة أبعاد التجربة من سمات مختلفة عن آيةٍ تجربةٍ قاهريةٍ أخرى.

ومن بين جميع شعراء العامية من أبناء جيله تحصل الشانلى على خبرات حياتية جديدة فإن كل واحد من هؤلاء الشعراء لم ينج من السجن لفترات طالت أو قصرت تماماً كما حدث للشانلى فإن أحدهم لم يرشح نفسه في معركة انتخابات عامة كما فعل هو عام ١٩٧٦ حيث تعرف بصورة كثيفة وعميقة على طبيعة المزاج الشعبي وحركة الناس في لحظة مذثوري سبقت انتفاضة يناير ١٩٧٧ وأصبحت واحدة من الموضوعات الرئيسية بعد ذلك في معظم أشعاره فضلاً عن كونه أحد المتهمين الرئيسيين فيها هنا تتلاشى المسافة بين الهم الخاص والهم العام فيكون هذا التلاشي أشعاره التي كتب معظمها في فترة هروبه من ملاحقة البوليس إثر الانتفاضة ، أما القصائد التي كتبت قبل ذلك فإنها تنتهي جميعاً إلى مناسبات أو قضايا مشابهة أما الحركة الطلابية في لحظات تأججها المختلفة ٧٣، ٧٢، ٦٨ أو حرب أكتوبر.. حتى أننا نجد رداً جاهزاً على سؤالٍ نطرحه عادة مع مولد شاعر جديد

حول وظيفة الشعر.

### بين العامية والفصحي:

لغة محمود الشاذلي قريبة للغاية من اللغة الفصحي فإذا حلنا المفردات الشائعة في شعره وجدنا أن الاستعمال الغالب لها هو الاستعمال الفصيح ولكن حين تتدخل في الاقياع العام والحركة داخل القصيدة نجدها منحوتة من صخر الحياة الشعبية وعمقها من «الحروف المسنونة» إلى «الكلمة الجادة» إلى «البراح» بكل الإيحاءات العميقة للكلمة وتعدد استخداماتها الشعبية «وأزرع عيوني العشماينين في براحك الغالي / يا بلاد أنت بيها / وسابقني للناب القبيح / ينهش في لحمي قد ما بيりيد. «إلى الإكثار من استخدام «الشوف» بدلاً من النظر أو العين أو الرؤية فالشوف رغم استخدامها العامي كلمة فصحي في الأصل يطعمها الاستخدام العامي بكثافة وقدرة حسية ومادية باللغة الآخر هي واحدة من السمات الهمامة في الاستخدامات الشعبية مفردات بعینها اكتسبت مع الزمن والتحولات المتباينة إيقاعاً خاصاً بها لتنوع في قدرة الإيحاء ومستوى الدلالة واستخدام الشاذلي المحدد لكلمات عامية فصحي يرتبط بوشائج عميقة مع لغة البطولة وإيقاعها.

فنجد هذا المقطع الأخير من قصيدة الوصية:

- يا منشدي زدني
- فين أنت يا مسفوح على شطوط الملل
- أضفر همومك بشوقى واستمع مني
- أنا الحسام اللي كان في غمده مستنبي  
لحظة جموع العدا.....

### إلى آخر المقطع

نلاحظ استخدام كلمات التصغير والجمع في إذا ما قارنا هاتين الكلمتين بأشواط المقدمين في اتجاه النزال في المقطع الأول من القصيدة...  
ما في حديث يتسع  
من سهر أحلامنا



إلا ويومه الشوق

يعزلها بعد الضنا المתוطن بالشوق...

نجد أن الواقع البطولي ليس استخداماً لكلمات بعينها فسحب وإنما هو يوظف هذه الكلمات في الإطار العام للإنشاد.. وخاصة إنشاد الماحين للملاحن والسير الشعبية.. الذي ينتقل في صياغة هنا إلى وعي أرقى لأنّه يكشف عن الدوافع العميقة لدى المحاصرين والمقهورين التي تفتح لهم باب صياغة الأحلام والتعبير عنها..

هنا تكتسب الكلمات العامة ذات الأصل الفصيح خصوصية جديدة ليست جمالية فحسب ولكنها اجتماعية كذلك تتعدد الأصوات في تنظيم قصائد الديوان وتتدخل وتحتول. «تتعدد أصوات الأنبياء في المهد» وتتدخل الأصوات في الوصية وتحتول في كل القصائد التي يحاور الشاعر فيها نفسه لأنّه ثمة هدف واضح يجتهد للتوصل إليه.. واستخلاص مقوماته من قلب هذا البناء المتعدد الأطراف الذي يختاره.....

### مفردات التراث

الشعر الحديث عامّة مثقل بمفردات التراث سواء كان مكتوباً بالعامية أو بالفصحي سواء كان غنائياً أو ملحمياً وسواء وظف للإنشاد أو للمسرح.. تبرز الأساطير في أشكال متعددة.. من إيزيس وأوزوريس إلى الصور الغامضة للغول والتنين، وتنزل الأساطير من عروشها القديمة والبعيدة لتتوغل في الذاكرة الشعبية وتدخل في صلب الحدّوته «كان يا ما كان....» وتتبثق من صلب الحواديت والصور القديمة للجن والعفاريت في ثياب جديدة تعلم عليها قوة العالم المادي وصراعاته فتلوح جديدة أحياناً ومحمة أحياناً أخرى..

يبعدى العنصر الديني في كلمات هنا وهناك في بعض قصائد الديوان ولكنه يتوجّل في قصيدة «المهد».

التراث الديني خاصة فيما يتعلق بالحلال والحرام ولكن لعلّ السمة الرئيسية في شعر الشاذلي بعد نسج - العامية - الفصيح هو احتشاد الصور ومقداره الخاصة على توليدها ببساطة وتلقائية غلابة تقوم على التداعي البسيط الذي سرعان ما ينطلق من العالم المادي من جديد لتولد صورة

جديدة ولعل أبرز مثل على ذلك قصيده الأولى رصاص الكلام التي غناها الشیخ  
أمام عیسی منذ ما يزيد على عشر سنوات وتبداً بوجد الصمود إلى ما لا نهاية ثم  
يتحول هذا الوعد إلى صور.

«لو علقولي مشنقة / أو حتى مليون مشنقة / حوالين رقبتى ح افكها / وأخذ حبالها /  
وأنصنع قلم / يكتب حروف / لساعة خلاص.. يتماسك المسموع والمنظور والحس  
المباشر في «معزوفة غير حزينة» أشوف الفجر في لحظة نعاس الغول والتنين /  
يلسعني صریخ الصبی / فتبادل المسموع والمنظور والحس مواقعها في تركيبة  
خاصة تحمل إيحاء مغايرا وتدخل في صميم استخدامه للكلمات حين يبني صورة .  
وفي «لحن البداية» «نرى الصبح ایدین ولسان وعيون» مرة أخرى تتكون الصورة من  
المحسوس والمسموع والرئي لتصب كما هو الحال في معظم صوره في معنى  
الصمود وتتوياته وحين يلجم إلى الحلم تصبح الصورة مركبة شريط من الصور  
ويتقدم شعره في اتجاه التجسيد الدارمي:

فی الوصیة ویمر فی الحلم الشریط  
«الفین وابور

هاجین من الموت الغویط

نافرین من الصمت الوجیعة

بیشقوا فی قلوب المحجور

ویمحوا فی الأرض الودیعة

عاپق دخانهم فی السک

بیطیر النوم م العین

لکن ما عرفوا ازاى وفین

یتخطوا أحوال البرک

ویعدوا من فوق الجسور».

تقود الصور إلى الألوان.. والألوان لا تحمل فسحبي دلالتها الجمالية لكنها كل  
مفردات التكوين الشعري عند الشاذلي من تراكيب وإيقاعات وحركة تقود إلى الهدف  
المسبق في «المستنقع» وهي إحدى القصائد الخطابية الزاعمة لصالح مين..

لصالح مين «تشهر بالقلوب العارفة الطاهره»

تزغل رغبتك م الشمس

ما تقدر تجابها

ولـا تقدر تفاديـها

في يوم أخضر

ويوم أصفر

ويوم أحمر

ويوم ما نلتقالك لون

الألوان هي المواقف إذن.. وفي «الوصية» الألوان تحـدد الخطوط الفاصلة بين العالمين  
النقـيـضـيـنـ المتصارعينـ:

إـيـهـ يا بـرـوجـيـ الشـمـسـ

يا مـجـمـعـ الطـوـابـيرـ

مالـتـ غـصـونـ الشـجـرـ

من زـحـمةـ العـصـافـيرـ

أـفـرـدـ درـاعـاتـ التـفـيرـ..ـ اـفـرـدـ

خـلـصـ خـيـوـطـناـ الـبـيـضـ

ـمـنـ شـبـكـةـ الـأـسـوـدـ.

ترسم الألوان عالمـاـ يعتمدـ علىـ قـوـةـ الصـورـةـ حـيـنـاـ وـقـوـةـ المـفـرـدـاتـ القـوـيـةـ حـيـنـاـ آخرـ  
ـوـيـتـوزـعـ بـيـنـهـمـ بـمـاـ فـيـهـ مـنـ أـفـكـارـ وـمـوـاقـفـ»ـ.

«الوصـيـةـ»ـ واحدـةـ منـ أـهـمـ قـصـائـدـ هـذـاـ الـديـوانـ دـلـلـةـ عـلـىـ العـالـمـ الجـنـىـ للـشـاذـىـ.  
ـوـهـىـ قـصـيـدةـ حـزـيـنةـ تـهـجـوـ الـوـضـعـ الإـنـسـانـىـ وـتـقـيـضـ بـالـدـمـوعـ الرـوـمـانـسـيـةـ..ـ لـكـنـهـاـ  
ـسـرـعـانـ مـاـ تـخـرـجـ بـنـاـ مـنـ هـذـهـ الـحـالـةـ لـسـنـهـضـ بـحـرـقـةـ الـدـمـوعـ نـفـسـهـاـ وـبـقـوـةـ الرـؤـياـ  
ـالـمـسـتـقـبـلـيـةـ بـكـلـ الـقـوـىـ الـكـامـنـةـ فـيـ الـشـعـرـ وـالـنـاسـ فـتـسـارـعـ إـلـىـ التـوـحدـ مـعـ الشـعـبـ  
ـكـنـتـ أـنـاـ الـعـاشـقـ وـأـنـاـ الـمـعـشـقـ»ـ وـمـعـ الـطـبـيـعـةـ التـىـ يـحـوـيـهـاـ عـمـلـ إـلـاـنسـانـ (ـجـيلـ)  
ـالـسـوـاءـدـ أـنـاـ/ـ شـمـسـ الضـحـىـ الـمـخـلـوقـ)

وثمة وعي عميق بالقدرة والفعالية الإنسانية التي لا تحد «الحن جوايا/ هادر بصوت الزمن والرغبة والأسرار».... وحين تتبدى هذه القدرة جلية وفاعلة «توضع سيفوف الغل في ضعفي وفي الأغوات، من قبل كان قد بدأ نشيده مفعماً عن جموح طفولي غنائي «نفسى أغنى لكل شيء/ عن كل شيء/ بلهفة الطفل البرئ في رحلته للاكتشاف».... لكن الاكتشاف كامن أبداً في الجموع واختيار الفعل لا الكون.. هنالك غطاء لابد من ازاحتة أولاً... لابد من المعرفة... الولوج إلى الكون... «واقف أنا على بابك القبلي وقفه عليل والعلة معروفة».

اللغز يحله الغناه والاستهاظ حيث يتتصدر المارد - الشعب - المستقبل الذي يستصرخه الشاعر  
- يا ماردي غني  
- فين أنت ياللى حكمتك مني

ثم في المقطع الأخير يتحول إلى منشد  
- يا منشدى زدني  
- فين أنت مسفوح على شطوط الملل  
- اضفر همومك بشوقى واستمع مني

يتجلى في هذه القصيدة القوة الروحية الجامحة للشعب التي تعطى للكلمات طرازجة جديدة ومفاجئة.. الاكتشاف والغناء ينضممان إليه حيث كثرة المكونة وحيث هو المارد الموعود.. حيث الأغوات - الأداء قوى الاستغلال مرادف دائماً لضعف ما .. لضعفه هو مثلاً لقوى المستقبل.. لهذا الاشتباك بين الخيوط الأبيض والأسود.. ولكن اشتباك لابد منه لكي ينبلج فجر، حين يعرف الثائرون ازاي وفيين «بتخطروا اوحال البرك ويعدوا من فوق الجسور».

### فهل لاحت التباشير؟

ذلك سؤال ضمني أو صريح يتتردد في معظم قصائد هذا الديوان .. يا هلترى أن الأوان «نحن دائمًا في انتظار العاصفة - حين تستكين الريح يفيض الأسى وينتعش

القلب والعقل في حماية العاصفة - الوعد العاصفة - الشعب / هب الطوفان لا يبقى ولا يعفي/ هل من دليل فيكم ع يشق له المجرى؟..

تلك العاصفة الموعودة تنتشه هو الصوت المجرد المفعم بالحزن الرومانسي لحظة غياب العاصفة وأنا كنت سابع في مدار الوهم - قبل اشتغالك بالهوى المحموم: واسم هذه القصيدة «الاختيار» في القريب تذكر العاصفة دفقة مكثفة من الحقد. ومن تحتك رحابة غل ما يفعل م الدوران.. الحقد هنا إيجابي وخلاق لا يكل لأنّه يصب في مخزن العاصفة الموعودة حيث ينهر الشعب - الصقر - الاله - الملوك بوجوده الغامر في كل شيء، وحيث يمتلك الشاعر تلك الرؤية الثاقبة التي تجعله يتوحد مع الشعب ضد قوى الظاهر من طبيعة بشرية فيصبح الصوتان المتمايزان - المغنى وموضوع الغناء صوتا واحدا.

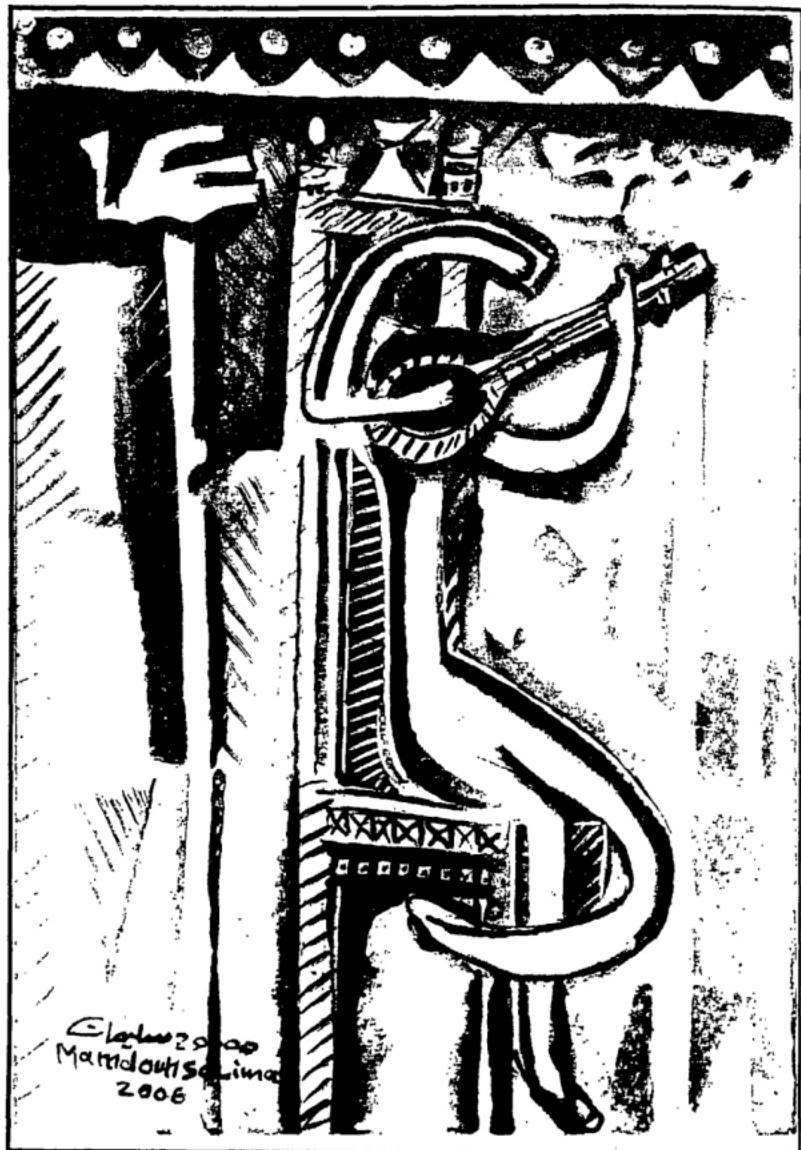
هناك وعد بالصمود ودعوة له في تنوعات على المعنى حيث تبرز الحق في مواجهة الزيف..

أيه راح يعمل فيينا الليل والصبح أيدين ولسان وعيون/ كل أخواتنا المرميمين جوه الزنازين» ثم الصمود في وجه خيانة الخلان والنفس التي لا يبررها أو يغفرها شيء في هذا العالم.

يقول الحق.. لجل الكدب ما ينزاح«.

ذلك التناقض البسيط الطفولي بين الخير والشر بين الحقيقة والزيف بين الصدق والكذب يكتسب معنى أعمق حين يصلها وعد الصمود وعدم الاستسلام لأى هزيمة أو ضعف هذا الوعد الذي يمكن في كل القصائد تقريبا، ويتحرر لاختبار أليم في تجربة الحياة ذات الطابع الوطني والقومي في قصيدة «سيرا بيوم» التي كتبت عقب حرب أكتوبر مباشرة. وكتب هذه الفكرة عمقا حزينا وغلايا على لسان محارب شاب:

«أبدى شبابي الحي في طي الشقوق  
وأنزع عيوني العثمانين في براحك الغالي  
يا بلاد أنت بيا  
وسابتنى للنواب القبيح  
ينهش فى لحمى قد ما بيريد..»



Clarisse 29.00  
Mardioutisima  
2006

ينكشف السر.. فها هي الحرب الذى دفع الأولاد دماءهم وحياتهم فيها لتصبح سلعة  
لتجار الحرب والدماء ويكتشفون عن وجوههم القبحة.

ايش لون جنائك يا سيرابيوم

- بعد بوج السر

يتلموا تحت سقوفنا تجار الدما والعهر

ويتبادلوا مع الانتخاب عروض البيع

وعد الصمود هنا يشى بمرارة الخبرة.. بوطأة الخديعة.. صوت الصمود هنا جماعي  
اتساقاً مع كل الدلالات الوطنية والقومية للحرب وأكثر من ذلك مع الاكتشاف الحديث  
لضرورة أن تكون مواجهة ذلك «العهر» جماعية.

احنا المراد احنا

لا نحتفل بالأمر حين ما تحوم الغربان

ولا تنطفئي الأحزان في قلوبنا بالسخره

ثم في المقطع التالي.. يرتبط هذا الصمود الموعود بالعالم الآتي:

احنا المراد احنا

احنا ولاد بكرة

ورغم كل شيء، إذن نرى أن التباشير قد لاحت وقد أن الأولان لكي نهزم الغرية

وتتوارى الأحزان:

الدنيا مهما تجور

ومهما تدور

مرساهالينا احنا

ويساطها مطرحنا

تكون الدنيا لنا حين نختار الطريق الذى يقودنا إليها خالصة من الشرور والألم..

هذا الطريق يحدوه الشعر - الصوت الجامح:

تبارك اللي ساعدة التعطش الحميمة

لومضة اختيار

ولهجة انتصار

يستل صوته من سخونة الجراح

ودقة المزاهر العلية

يا دمنا المباح

يا لحمنا الوليمة

الرقص ع السلام القزان

يدغدغ الرغائب الدمية

يضاجع المثالب اللثيمة..

الشعر وحسم الاختيار يمزجان بين الألم والفرز من سخونة الجراح ودقة المزاهر  
العلية.. و«يشيران إلى الاختيار الصحيح.. للسفر من العواصف في الفعالية  
الإنسانية الحقيقة من أجل عالم أجمل.

البحر في النهور

ولا مفر

والوقفة ع الشطوط

امر

وفي الرجوع .. هزيمة

يشب وليد الانتظار والألم في عشق السفر.. ذلك السفر الذي تتعدد معانيه من سفر  
الغرية إلى سفر الاكتشاف إلى سفر الرياح والتغيير ورائحة الزلازل..

في قصيدة من أهم قصائد الديوان «المهد» يكتسب الزمن الرومانسي لأول مرة معنى  
تاريفيا حيث ارتقاء اللجام وانطلاق السهام وارتفاع الوتر للبوج وغنائيه  
الاستهلال التي تدشن ولادة الجديد آه يا سلسل الروح وحرقة الحنين للشروع  
والأوضاع.

في هذه القصيدة التي تستمد من قصص القرآن .. في قصتي سيدنا يوسف ويونس  
عناصر الحدotes خيانة الأخوة ومراؤده امرأة العزيز للفتى عن نفسه ثم إضافة  
عنصر تاريخي آخر وقصة المالكين من تاريخهم القريب يتكرس بكثافة متميزة  
عناصر التحذير من الخطر ثم عناصر الاساليب في شعره كلها.. وتعمق فكرة

رئيسية تبدو كمفارة هنا من العفاف والانطلاق.. وهى فكرة الاختيار الثورى  
الاختيار النضالى..

ارخي لجامك يا عفيف البدن  
ياللى احتمالك للعفاف غية  
ارمى لجامك وانطلق فى الزمن

تتعدد الأصوات فى هذه القصيدة بين الشاعر - الراوى من جهة وبين سطلة الاهرام -  
كىان - ملوك فراعنة وتلوح بينهما تلك الحقيقة الكامنة فى القصيدة الدينية والكامنة  
أيضاً فى منطق التاريخ الذى يصدق أبداً.. أن الآتى يأتى والحياة دائمًا حبل  
بالمستقبل..

يا دولة الفرعون  
ما حد فوق الشط يتجازر بم الأيد  
لكن يارب الكون  
حاضر من المواليد..

### النزع الرومانسى:

يبقى المنحنى الأساسى لشعر الشاذلى رومانسيا حيث تتقدم ذات الشاعر الراوى -  
المغنى قلب العالم بمعطاهما وعشيقها الحميم فيصبح الغريب هو والباحث عن السعادة  
هو:

كنت أنا العاشق وأنا وأنا المعشوق/ والضمير الأساسى هو المفرد - الفاعل ..  
والشعب يتوحد به والثورة وطالما بقى المفاجأة والحوار الذى يقسم الراوى إلى اثنين  
بقيت سمات الرومانسية غائبة وحزينة وحيث اللون الأبيض لون التفاؤل والحماسة  
هو اللون الأساسى الذى يلحق رومانسيته بالخطابه.. بحى المراثى (واه يا سليل  
الروح) ...

# الكمان والعاصفة

(مختارات من شعر: محمد الماغوط)

إعداد وتقديم:

حلى سالم

غاب الشاعر السوري العربي الكبير محمد الماغوط عن اثنين وسبعين عاما، وبغياب الماغوط تفقد القصيدة العربية المعاصرة ركنا ركيانا من أركانه القليلة، ويفقد شعر النثر رائدا كبيرا من رواده البارزين.

ولد الماغوط في قرية السلمية بمحافظة حماة عام ١٩٣٤، ولم يكمل دراسته الثانوية، ففر من بؤس النظام التعليمي التقليدي، وانخرط في تعليم الحياة ومعرفة الخبرة الحية، اعتقل وهو في العشرين من عمره بتهمة الانضمام للحزب القومي السوري، وكانت تجربة السجن تجربة كاسرة للروح، لازمه ظلها الأسود طيلة السنوات.

ترك الماغوط مجموعات شعرية عديدة منها: حزن في ضوء القمر، غرفة بملايين الجدران، الفرح ليس مهنتي، سأخون وطني، شرق عن غرب الله، البدوى الأحمر،

كما ترك مسرحيات كثيرة منها: العصفور الأحذب، المهرج، ضياعة تشرين، غربة، كاسك يا وطن، خارج السرب، قيام جلوس، ورواية: «غيمة» وكتب فيلمي: «التقرير» و«الحدود».

كان ديوانه الأول «حزن في ضوء القمر» (الذى صدر عام ١٩٥٩، أثناء انخراطه فى جماعة «شعر») تجربة فاتحة فى مسيرة قصيدة النثر العربية الحديثة، وتواتت بعده التجارب «من أنسى الحاج وتوفيق صايغ وأدونيس» والأجيال الجديدة التى مثل لها الماغوط شرعية ومرجعية عميقتين.

كنت، متذ بضعة أيام، أستعد لكتابة كلمة موجزة أحبي فيها فوز جائزة العويس بمحمد الماغوط، وأحبي فيها قصيدة النثر التى جعلها الماغوط تفوز بأكبر الجوائز، على غير ما يهوى العموديون والسلفيون وأهل النقل، لكن الماغوط، صاحب المعاكسنة والمغالفة، عاكسنا وفاجأنا، باخر ما فى جعبته من مخالفه ومباغته.

الماغوط هو الشاعر العربى الوحيد الذى بدأ مشواره الطويل بقصيدة النثر، وأنهى مشواره الطويل بقصيدة النثر، فلم ينزلق إليها - كما فعل كثيرون - بعد إقامة قصيرة فى نص العمود، أو بعد إقامة قصيرة فى نص التفعيلة، من هنا، فهو عندي واحد من أكثر الشعراء مبدئية فى تاريخ الشعر العربى الحديث.

والماغوط هو شاعر النثر الوحيد الذى يستثنى من الهجوم خصوم قصيدة النثر التقليديون، حينما يصوبون طوفان اتهاماتهم الجائرة على شعراء قصيدة النثر: مثل ركاكة اللغة أو التغرب أو الاستسهال أو العجز أو انعدام الأصالة، فى كل هذه التهم «بصرف النظر عن صدقها أو كذبها» فإن التقليديين يخرجون الماغوط من دائرة الاتهام، لأنه تجربة أصلية عميقة غائرة، ولأنه «نسينج وحده».

أعلم الآن، كم سيحزن دريد لحام (الذى شاركه «التقرير» و«الحدود» و«كاسك يا وطن»)، وكم سيحزن أبوحيان التوحيدى، فهو مثله غريب فى وطنه، وقال منذ قرون: «هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه/ ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه/ وأغرب الغربان من صار غريبا فى وطنه/ وأبعد البعداء من كان بعيدا فى محل قريبه». وكم سيحزن سعد الله ونووس وممدوح عدوان وأمل دنقل، فقد كانوا جارحين مثله، ومجروحين.

---

سلاماً لـ محمد الماغوط، الرجل الذي قال، في حواره مع غبده وازن: «إنني أحترم كل قصيدة، حتى لو كانت فاشلة، ولا أهزاً من أي قصيدة». وقال: «أنا شاعر مقاومة، ولكن ليس على طريقة الشعراء المنبريين الذين يصيرون ويصرخون».

ووصل عشقه المريض للشعر إلى أن صاحبه: «سئمتك أيها الشعر، أيتها الجيفنة الخالدة».

سلاماً للشاعر الذي غنى «خارج السرب»، وكان يتقدم إلى منصة استلام جائزة العويس، وهو يردد في سره:  
«أخذوا سيفى كمحارب،  
وقلمى كشاعر،  
وريشتى كرسام،  
وقيثارتى كفجرى،  
وأعادوا لى كل شيء،  
وأنا فى طرقى إلى المقبرة،  
ماذا أقول لهم  
أكثر مما يقوله الكمان  
للعاصفة».

## ataba ma'asra

وقيّارتي كفجري  
وأعادوا لى كل شيء وأنا فى الطريق  
إلى المقبرة،  
ماذا أقول لهم أكثر مما يقوله  
الكمان للعاصفة

الذين ملؤوا قلبي بالرعب  
ورأسى بالشيب المبكر  
وقد حى بالدموع  
وصدرى بالسعال  
وأرصفتى بالحفاة  
وجدرانى بالنعموات  
وليلى بالأرق  
وأحلامى بالكتابيس

الخوارج  
نحن الأقلية الصامتة بين موائد  
الدرجة الأولى  
والاكتيرية الشريارة فى مطابخها  
بناء الأهرامات المعاصرة  
وأدلة الطيور إلى الأقفال  
والسفن إلى الضباب وجبال الجليد

وحرمونى براءتى كطفل  
ووقارى كعجوز  
وبلاغتى كمتحدى  
وصبرى كمستمع  
وأتلاني كأنير  
وذاويتى كمسول  
وفراستى كبدوى  
ودهشتى كمسافر  
وحنينى كعاائد

● ● ●  
لم نكن نعلم أبداً  
إن كنا عصابة، أو حزباً، أو قطيعاً،  
أم ضرباً من الجنون، والبرداء،  
وأطباق القش، والتعليم المجاني،  
والعتبات المقدسة،  
والأخلاق الحميدة، وغياب  
المجهول؟؟  
ولم ندرك قوتنا الضاغطة  
إلا فى وسائل النقل  
أو ونحن نتدافع للخروج من المدارس

● ● ●  
ثم أخذوا سيفى كمحارب  
وقلمى كشاعر  
وريشتى كرسام



-2006-  
Charles Z. Z. Z.  
Mammouth Squid

## الريفية

للتبول على جدرانها من الخارج  
أو في خلاء الوطن الحبيب  
لأن مخصصات الصرف الصحي  
تفق على المواكب والاحتفالات

وتنظيف سمعتنا الدولية  
والرد على الإعلام العادي



كل حريق متعمد  
أو إندار خاطئ  
أو محاولة اغتيال فاشلة  
أو مكالمة من مجهول  
أو استغاثة عاجلة

نحن وراءها

وحيث توجد جنازة  
نكون بداخلها، أو وراءها!  
وحيث يوجد الظلم والقهر والدم  
«نكون أو لا نكون»

كما يقول الشاعر الليبي الأصل وليم  
شكسبير

نحن السراب الخادع في كل  
صحراء

والأفعى الملتفة في كل بير  
والحلقة المفودة في كل درع  
والقاعدة الشعبية لكل طاغية



كما نعرف مثلاً

والقاعدة الرخامية لكل قبر  
والمفقودين  
الذين لا يعثر لهم على أى أثر  
في كل حطام



كل انتخابات نتيجتها ٩٩٠٠ أو ٩٩٩٩  
فى المئة  
نحن هذا الواحد ، أو هذا العشر  
فى المئة  
نحن الصندوق الأسود  
فى كل طائرة أو سفينة  
وفى كل حزب ، أو منظمة رسمية  
أو شعبية

أو احتلال أو استقلال  
وفى كل شركة ، أو مؤسسة خيرية  
أو دينية  
أو محطة فضائية ، أو صحفية قومية ،  
أو مسرح ملتزم

قبل أن تقع الكارثة  
على القارئ ، المشاهد ، والمناضل  
ولن نجيب على كل الأسئلة  
أمام أى لجنة تحقيق

لأننا سنتتحول إلى «صندوق فرجة»



ولذلك نجلس على فوهة البركان  
ونحن نتثاءب ونلعب الورق، والترد  
كما نجلس في مقهي  
حتى ينبت الريش على جناحنا  
ال العسكري

**أحلام وكوابيس**  
بعض الشعر، والأفلام الوثائقية،  
والصور الفوتوغرافية، واللوحات  
المائية،  
وي بعض الموسيقى الحالية، والناعي  
المنفرد..  
تفاهمت مع الأفق والوحى، وريح  
السموم  
مع كتابة الخريف، ووحشة الشتاء  
والنيازك البعيدة، وبحر الظلمات.  
مع جنون العظمة  
والبطولة الفردية  
وانفصام الشخصية  
ودوافع الانتحار  
مع غربة الطيور، وخوف الأطفال  
وعاهات الولادة  
والحمم الطائشة  
والقنابل الذكية

لماذا انتحر حاوي!  
وقتل كمال خير بك بـ ألف رصاصة  
في جبينه دفعة واحدة  
وحتى من قتل لومومبا وذو الفقار  
على بوتو  
ولماذا أطيح بثورة مصدق  
وخلع الشاه  
ونصب قمبير جديداً في المنطقة  
ومن جعل عبد الناصر يدخل مائة  
لهاة في اليوم  
ونعرف ماذا جرى في البلقان  
وما يجري الآن في الجزائر،  
والشيشان  
ولماذا فصل جنوب السودان  
عن شماله  
ويراد فصل لحم العراق عن عظميه  
فنحن نستطيع أن نقرأ بين السطور،  
والجماجم والأنقاض  
ونستقرى، ونشم، ونستشم، ونحلل  
ما يجرى حولنا حدثاً.. حدثاً  
ولكنهم لا يسمحون لنا في هذه  
المرحلة،  
بتحليل أي شيء، أكثر من برادنا،  
وبعد موعد مسبق.

● ● ●

دينية أو أحكاماً عرفية، أو دروعاً  
بشرية، أو مقابر جماعية، أو نهضة  
سياحية...  
ولا يبالى بشرف أو عدالة،  
أو كرامة، أو حرية  
بيمين أو يسار، أو شمال أو جنوب.  
لقد أكل كل مراجعى، ووثائقي،  
ومستمسكاتي،  
وجداولى، وإحصائياتى، الشخصية  
والرسمية،  
وخرجت من الحوار معه،  
منبوش الشعر، أشعث اللحية،  
مزق الثياب،  
مثل رحلة في عاصفة رملية  
لا أرى أحداً  
ولا أحد يراني.  
وكل دموع الفقراء الفائضة  
عن حاجاتهم  
وكل الأهم وأحلامهم الهائمة  
في الطرقات،  
تصب في دفاتري، كما تصب  
المجاري في البحر.  
وعلى أن أفرزها وأنسقها  
حسب الأقدمية والأهمية.  
وبحسب مصدرها وطائفتها،

والسيوف البatarie  
والداعوى الكيدية  
وجرائم الشرف.  
مع البدانة، وإنفاس الوزن  
والعضلات المفتولة، والكمال الجسماني  
وشقوق الأرض، وتمزق الأقدام  
مع الغابات والوحوش الكاسرة  
والغلية، والبوم المنعزل، والأحياء  
الدقيقة  
مع وهن الشيخوخة وترقق العظام  
والأمراض المستعصية، وأدوات  
التعذيب...  
ما عدا غول الشعر والنشر  
والطفولة والشيخوخة  
والعلم والمنطق والأساطير  
والحنكة ، والعزمية، وبعد النظر:  
الجوع...  
إنه لا يفهم شرعاً ولا نثراً  
ولا يأخذ بحجة أو بينة  
ولا يقدر طرفاً طارئاً، أو مشكلة  
عائلية أو مأساة عاطفية..  
أو مرحلة حساسة، أو منعطفاً تاريخياً،  
أو مصالح دولية، أو توازنات  
إقليمية .. أو مفاوضات مصbirية  
أو تقاليد مرعية، أو اعتبارات



يسهل ناخراً مستعجلأً بانتظاري  
ولكن عندما وضعت يدي  
على ركبتي،  
حاوالت النهوض، لامتنانه...  
أدركتني الشيخوخة!!

وماضيها وحاضرها.  
كأى مؤرشف بيروقراطي  
في دهاليز الثورة البلشفية:  
هذه للدراسة..  
هذه للحفظ  
وذلك للتثريث.

لعق المبرد  
مذ كنت في مهدى الشعري الأول  
أعلك قصائد هوميروس، وجلاجماش  
وأضرب قدمي المعاجم والمصطلاحات  
مع الغطاء...

ثم أقع عليها بقدمي الحافية  
وأغط في نوم عميق  
ووجهى مغطى بالدموع،  
والملفات!!  
لا..

حاصروني في طروادة  
وفي روما  
وفي آثينا  
وفي عكا  
وخراسان  
والفسطاط  
وسمرقند، وستالينغراد  
وقلعة صلاح الدين.  
وتحت الأسرة، تحت الجسور  
وفي ممرات خير  
وأقبية الخمور، وأقبية التعذيب  
ثم حطموا كل الجدران من حولي،  
وابقوا على الألغال!!

وصرخت صرخة مدوية  
ارجت لها الأرض.  
 وكل ما عليها ما عد «البنوك»...  
لا نوم، لا دموع، لا دهاليز بعد  
الآن..  
لا شيء غير.. الثورة  
وجهنت جيشاً جراراً من ورق  
الخريف  
ودرعاً، سيفاً قاطعاً من ريح الشمال  
وخوذة من الدموع الصلبة،  
التي لا يخترقها الرصاص،  
وكان جواد الثورة،  
بزيته، وأجراسه، وسرجه  
الشاغر

علناً في الخريف؟  
وأية قنبلة ذكية أو غبية  
ستتحقق بي من الدمار  
أكثر مما أنا فيه؟!  
فأبعدوا مناديل السل عن أفواهكم  
وانزعوا النظارات الطبية والشمسيّة  
عن عيونكم  
ونطفوا آذانكم من الصملاح  
ورواسب الشعر، والأناشيد  
التي تغزلت بكم  
ومن كل الأمال والأحلام  
التي نفخت بها أوداجكم  
والمسوني كضرير  
وانظروا إلى كافق  
واسمعوني كهدير:  
«لابد لنا في نهاية المطاف  
من فتح علبة السردين  
بأصابعنا، وأسناننا!!»  
ولذلك.. أهينوا من يهينكم  
وجوعوا من يجوعكم  
وشردوا من يشردكم  
وأنذلوا من بذلك  
وطاردوا من يطاردكم  
واغتصبوا نساء من يغتصب نساعكم  
واهدموا قلاع وحصون من يهدم

ولذلك أنا بطيء كالشمس  
في الحركة، والفهم، والاستدراك،  
والاستيعاب.  
ومع ذلك،  
أسيّر بسرعة ألف عقدة نفسية  
في الساعة،  
في أي اتجاه،  
ونحو أي هدف..  
ولذلك، فآية زنزانة بعد الآن  
سوف تتسع لقيودي، وحركة  
ذراعي؟  
وأى قاض، أو حاكم عرفي،  
أو نائب عام  
سيتحمل سلطة لساني  
والرذاد المتطاير من شفتي؟  
وأى حرس، أو حراب، أو حجارة  
رجم  
ستقف في وجه قصائدى المجنونة  
وهي تخرج إلى الناس  
عارية الصدر، والعجز  
منبوشة الحروف، والعناءين  
والفاواصل  
مثيل خولة والخنساء؟  
ثم مازا تفعل سيف الشرف الرفيف  
مع الأشجار التي تتعرى

خمسون عاماً وأنا أسير وأسيير..  
ولم أصل إلى شيء!  
هل الخطأ في الطريق،  
أم في قدمي؟  
كما أبحرت أكثر وأبعد مما أبحر  
كولومبس  
دون أن تلوح في الأفق  
تبشير أمريكا، أو حتى «تanzania»  
جديدة!!  
ولكنني أعرف لماذا؟

● ● ●  
أحب التسкуع والبطالة ومقاهي الرصيف  
ولكنني أحب الرصيف أكثر

● ● ●  
أحب الغابات والمروج اللانهائية  
ولكنني أحب الخريف أكثر.

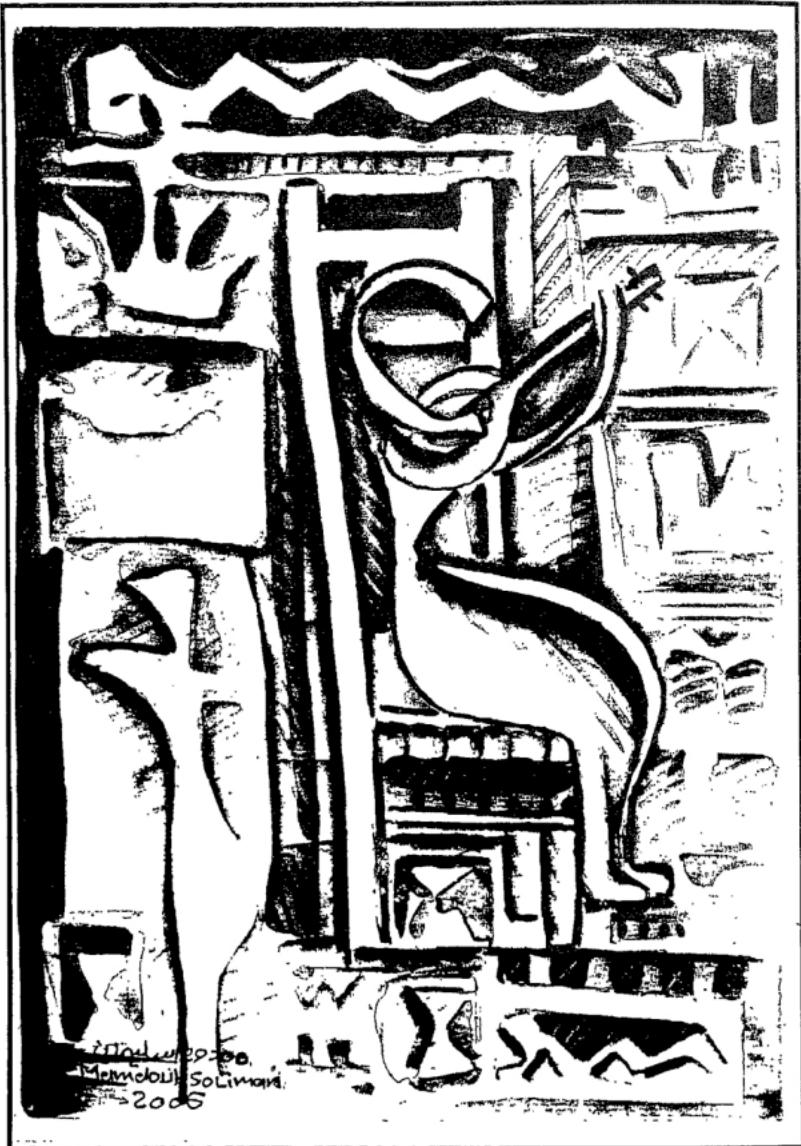
● ● ●  
أحب الزهور والرياحين والعطور  
الباريسية  
ولكنني أحب رائحة الغبار أكثر.

● ● ●  
أحب الأبواب والنوافذ المغلقة  
والاصطلاء على نيران الموقد  
ولكنني أحب الزمهرير في الخارج  
أكثر.

بيوتكم وأكونكم  
فليسوا أكثر مناعة من الباستيل.  
وعند حدوث أي نزاع  
 حول شطف درج، أو تصديق  
 معاملة، أو شهادة حسن سلوك  
 لا تلجأوا إلى المحاكم ومتاهاتها  
 المرعبة.  
 بل إلى الكهوف والجبال، والغابات  
 والمستنقعات.  
 فاللوشيات والملحقات والمذاهبات  
 والجوع والرعب والقهقر والعار  
 صاروا من «الكماليات» بالنسبة لنا.  
 المهم..  
 حتى حيوانات السيرك، وفثاران  
 التجارب،  
 يجب أن لا تفقد أملها في المستقبل،  
 بعد الآن...

### شوارد الدم

أيتها النظارات الكسيحة بال بنفسج  
 يا بركة السنونو الزرقاء  
 لقد عاد الأزرق القديم  
 يضرب صدعى كحطاب جبلى.



11x14 cm 2006  
Memelotit Solimari  
2006

الجادين، والعشاق الجادين،  
والقبلات الجادة  
ولكنتني أحب ابتسامة الجيوكندا  
الغامضة والساخنة إلى الأبد أكثر.

● ● ●  
أحب النظافة والاستحمام  
والعتبات الصقيقة وورق الجدران  
ولكنتني أحب الوحول أكثر

● ● ●  
أحب القادة العظام والقمصان  
المضادة للرصاص  
ولكنتني أحب الرصاص أكثر.

● ● ●  
أحب الشهيق والزفير ورياضة الصباح  
ولكنتني أحب السعال والدخان أكثر.  
أحب العلم والعلة والمنطق والنطق  
السليم  
ولكنتني أحب هذيان البراء أكثر.

● ● ●  
أحب العزلة والصوماع  
والتصوف في أعلى الأديرة والجبال  
ولكنتني أحب زحام الملائج أكثر.

● ● ●  
أحب حيف الأشجار وشدو البلايل  
وتغريد العصافير  
ولكنتني أحب أبواق الإسعاف أكثر.

● ● ●  
أحب الحدائق المعلقة ونطاطحات  
السحاب  
ولكنتني أحب الزلازل والقصف  
الجوئ أكثر.

● ● ●  
أحب الحصون المنية والقلاع الخالدة  
ولكنتني أحب الأنفاس أكثر

● ● ●  
أحب الهدوء والطمأنينة وراحة البال  
ولكنتني أحب الغيط وصرير  
الأسنان أكثر.

● ● ●  
أحب القلوع والأشرعة الخفافة،  
والصياديون البارزين المسلمين  
ولكنتني أحب الأمواج أكثر.

● ● ●  
أحب الشمس والقمر والنجوم  
ولكنتني أحب الظلام أكثر

● ● ●  
أحب الأدب الجاد، والسياسة الجادة،  
والأحزاب الجادة  
والخطباء الجادين، والقضاة

تصيده غرام أو طعنة خنجر  
 فأنا متشرد وجريح  
 أحب المطر وأنين الأمواج البعيدة  
 من أعماق النوم أستيقظ  
 لأنكر بركرة امرأة شهية رأيتها  
 ذات يوم  
 لأنعاقر الخمرة وأقرض الشعر  
 قل لحبيبي ليلى  
 ذات الفم السكران والقدمين  
 الحريريتين  
 إنني مريض ومشتاق إليها  
 إنني ألمح آثار أقدام على قلبي  
 دمشق يا عربة السبايا الوردية  
 وأنا راقد في غرفتي  
 أكتب وأحلم وأرنو إلى المارة  
 من قلب السماء العالية  
 أسمع وجيب لحمك العاري.  
 عشرون عاماً ونحن ندق أبوابك  
 الصلدة  
 والمطر يتتساقط على ثيابنا وأطفالنا  
 ووجوهنا المختفقة بالسعال الجارح  
 تبدو حزينة كالوداع صفراء كالسلل  
 ورياح البراري الوحشة  
 تنقل نواحنا  
 إلى الأزقة وباعة الخبر

أحب المقاومة ورایات النصر  
 ومعارك التحرير  
 ولكنني أحب أرتاح للهزائم أكثر.  
 بل مذ كنت عاملاً صنغيراً في إحدى  
 ورشات البناء  
 كنت أسد رأسى في لحظات القيلولة  
 على الخرائط ومواد البناء  
 وافکر بالأطلال  
 واليوم الذي يمر، ولا أحقد فيه على  
 شعب، أو حزب، أو طائفية، أو  
 زعيم، أو خطيب، أو صحافي  
 أو شاعر، أو مذيع، أو سائق، أو  
 راكب، أو شارع، أو نافذة، أو  
 عصفور، أو زهرة، أو سحابة في هذه  
 الأمة، لا اعتبره يوماً من عمري، أو  
 يخصني من قريب أو بعيد.  
 ولذلك لأن لا أعرف:  
 هل أنا مشروع كاتب؟  
 أم مشروع خائن

### حزن في ضوء القمر

أيها الربيع المقبل من عينيها  
 أيها الكناري المسافر في ضوء القمر  
 خذنى إليها

العارية القدرة  
 تتدفع في نهر من السوق  
 وسحابة من العيون الزرق الحزينة  
 تحدق بي  
 بالتأريخ الرابض على شفتيِ  
 يا نظارات الحزن الطويلة  
 يا بقع الدم الصغيرة أفيقي  
 إنتي أراك هنا  
 على البيارق المنكسة  
 وفي ثنيات الثياب الحريرية  
 وأنا أسير كالرعد الأشقر في الزحام  
 تحت سمائك الصافية  
 أمضى باكيًّا يا وطني  
 أين السفن المعبأة بالتبع والسيوف  
 والجارية التي فتحت مملكة بعينيها  
 النجلاويين  
 كامرأتين دافتنهن  
 كليلة طويلة على صدر أنتي أنت  
 يا وطني  
 إنتي هنا شبيح غريب مجهول  
 تحت أظافرى العطرية  
 يقبع مجدهم الطاعون فى السن  
 فى عيون الأطفال  
 تسرى دقات قلبك الخائر  
 لن تلتقي عيوننا بعد الآن

والجواسيس  
 ونحن ندعى كالخيول الوحشية  
 على صفحات التاريخ  
 نبكى ونترجم  
 وخلف أقدامنا المعقوفة  
 تمضي الرياح والنسابيل  
 البرتقالية..  
 وافتلقنا  
 وفي عينيك الباردين  
 تتوح عاصفة من النجوم المبهولة  
 أيتها العشيقية المتغضنة  
 ذات الجسد المغطى بالسعال والجواهر  
 أنت لي  
 هذا الحنين لك يا حقودة!  
 قبل الرحيل بلحظات  
 ضاجعت امرأة وكتبت قصيدة  
 عن الليل والخريف والأمم المقهورة  
 . وتحت شمس الظهريرة الصفراء  
 كنت أنسد رأسى على ضلافت النواذ  
 وأترك الدمعة  
 تبرق كالصباح كامرأة عارية  
 فإذا على علاقة قيمة بالحزن  
 والعبودية  
 وقرب الغيوم الصامتة البعيدة  
 كانت تتلوح لى مئات الصدور

لقد أنشدتك ما فيه الكفاية  
 سأطل عليك كالقرنفلة الحمراء البعيدة  
 كالسحابة التي لا وطن لها  
 وداعاً أيتها الصفحات أيها الليل  
 أيتها الشبابيك الأرجوانية  
 انصبوا مشنقتي عالية عند الغروب  
 عندما يكون قلبي هادئ كالحمامات  
 جميلاً كوردة زرقاء على رابية  
 أود أن أموت ملطاخاً  
 وعيناي مليتان بالدموع  
 لترتفع إلى الأعناق ولو مرة في العمر  
 فإنني مليء بالحروف والعنابين  
 الدامية  
 في طفولتي  
 كنت أحلم بجلباب مخطط بالذهب  
 وجود ينهب بي الكروم والتلال  
 الحجرية  
 أما الآن  
 وأنا أتسكع تحت نور المصايب  
 أنتقل كالعواهر من شارع إلى شارع  
 أشتاهي جريمة واسعة  
 وسفينة بيضاء، تقلن بين نهديها  
 المالحين  
 إلى بلاد بعيدة،  
 حيث في كل خطوة حانة وشجرة

خضراء،  
 وقتاة خلاصية  
 تسهر وحيدة مع نهدتها العطشان

**جنازة النسر**  
 أظنها من الوطن  
 هذه السحابة المقبلة كعینين مسيحيتين.  
 أظنها من دمشق  
 هذه العظمة المقرونة الحواجب  
 هذه العيون الأكثر صفاء  
 من نيران زرقاء بين السفن  
 أيها الحزن.. يا سيفي الطويل المجدد  
 الرصيف الحامل طفله الأشقر  
 يسأل عن وردة أو أسير،  
 والكلمات الحرة تكتسحنى كطاعون  
 لا امرأة لي ولا عقيدة  
 لا مقهى ولا شتاء  
 ضمئني بقوه يا لبنان  
 أحبك أكثر من التبغ والحدائق  
 أكثر من جندي عارى الفخددين  
 يشعل لفافته بين الأنفاس  
 إن ملايين السنين الدموية  
 تقف ذليلة أمام الحانات  
 كجيوش حزينة تحلس القرفصاء

وأنا أبحث عن ركن منعزل  
وقروية يائسة، أغدر بها.  
يا رية الشعير  
أيتها الداخلة إلى قلبي كطعنة السكين  
عندما أفك، بأنني أتعزل بفتنة  
مجهولة

ببلاد خرساء  
تأكل وتضاجع من أذنيها  
أستطيع أن أضحك، حتى يسيل الدم  
من شفتي  
أنا الزهرة المحاربة،  
والنسن الذي يضرب فريسته  
بلا شفقة.

أيها العرب، يا جبالاً من الطحين  
واللذة

يا حقول الرصاص الأعمى  
تريدون قصيدة عن فلسطين،  
عن الفتح والدماء؟  
أنا رجل غريب لى نهدان من المطر  
وفي عيني البلدين  
أربعة شعوب جريحة، تبحث  
عن فوتاها  
كنت جائعاً  
وأسمع موسيقى حزينة  
وأتصلب في فراشي كدودة القز

ثمانية شهور  
وأنا المس تجاعيد الأرض والليل  
أسمع رنين المركبة الذليلة  
والثاج يتراكم على معطفى وحواجبى  
فالتراب حزين، والآلام يومض  
كالنسر  
لا نجوم فوق التلال  
التناؤب هو مركبتي المطهمة،  
وترسى الصغيرة  
والأحلام، كنيستى وشارعي  
بها أستلقى على الملكات والجوارى  
وأسير حزيناً في أواخر الليل

### حريق الكلمات

ستمتك أيها الشعر، أيها الجيفة الخالدة  
لبان يحرق  
يثب كفرس جريحة عند مدخل  
الصحراء  
وأنا أبحث عن فتاة سميته  
احتكت بها في الحافلة  
عن رجل عربي الملامح، أصرعه،  
في مكان لما  
ببلاد تنهار  
ترتجف عارية كأنثى الشبل



205  
2000  
Bharat Bhawan

لبنان.. يا امرأة بيضاء تحت المياه  
يا جبالاً من النهود والأظافر  
إصرخ أيها الأبكى  
وارفع ذراعك عالياً  
حتى ينفجر الأبط، واتبعني  
أنا السفينة الفارغة  
والريح المسقوفة بالأجراس  
على وجوه الأمهات والسبايا  
على رفات القوافي والأوزان  
سأطلق نواقير العسل  
سأكتب عن شجرة أو حداء  
عن وردة أو غلام  
إرحل أيها الشقاء  
أيها الطفل الأحدب الجميل  
أصابعى طولية كالأبر  
وعيناي فارسان جريحان  
لا أشعار بعد اليوم  
إذا صرعيوك يا لبنان  
وانتهت ليالي الشعر والتسكع  
سأطلق الرصاص على حنجرتي.

سرير تحت المطر  
الحب خطوات حزينة في القلب  
والضجر خريف بين النهدين

عندما اندلعت الشرارة الأولى  
أيتها الصحراء.. إنك تكتفين  
ملن هذه القبضة الأرجوانية  
والزفة المصمومة تحت الجسر،  
ملن هذه القبور المنكسنة تحت النجوم،  
هذه الرمال التي تعطينا  
في كل عام سجناً أو قصيدة؟  
عاد البارحة ذلك البطل الرقيق  
الشفتين  
ترافقه الريح والمدافع الحزينة  
ومهماته الطويل، يلمع كخنجرين  
عاريين  
أعطيوه شيئاً أو ساقطه  
أعطيوه هذه النجوم والرمال اليهودية.  
هنا...  
في منتصف الجبين  
حيث مئات الكلمات تحضر  
أريد رصاصة الخلاص  
يا إخوتي  
لقد نسيت حتى ملامحك  
أيتها العيون المثيرة للشهوة  
أيها الله..  
أربع قارات جريحة بين نهدي  
كنت أفكـر بأنـنى سـاكتـسـحـ العالم  
بعينـى الزـرقـاوـينـ، وـنظـرـاتـى الشـاعـرـيةـ

أرى سريري الفارغ  
وشعرى الأشقر متهدلاً على المنضدة  
كن شفوقاً بي أيها الملوك الوردي  
الصغير  
سأرحل بعد قليل، وحيداً ضائعاً  
وطقوطى الكثيبة  
تلتفت نحو السماء وتبكي.

### الحصار

دموعي زرقاء  
من كثرة ما نظرت إلى السماء  
ويكبت  
دموعي صفراء  
من طول ما جللت بالستابل الذهبية  
ويكبت  
فليذهب القادة إلى الحروب  
والعشاق إلى الغابات  
والعلماء إلى المختبرات  
أما أنا فسأبحث عن مسبحة  
وكرسي عتيق  
لأعود كما كنت  
جاجبا قديما على باب الحزن  
مادامت كل الكتب والدستoirs والأديان  
تؤكد أنني لن أموت  
إلا أثنا، أو سجيننا.

أيتها الطفلة التي تقرع أجراس  
الحبر في قلبي  
من نافذة المقهي ألمع عينيك الجميلتين  
من خلال النسيم البارد  
أتحسس قبلاتك الأكثر صعوبة  
من الصخر  
ظالم أنت يا حبيبي  
وعيناك سريران تحت المطر  
ترفق بي أيها الإله الكستنائي الشعر  
ضمعني أغنية في قلبك  
ونسرأ حول نهديك  
دعني أرى حبك الصغير  
يتصدح في الفراش  
أنا الشريد ذو الأصابع المحرقة  
والعيون الأكثر بلادة من المستنقع  
لا تلمنى إذا رأيتني صامتاً وحزيناً  
فإننى أهواك أيها الصنم الصغير  
أهوى شعرك، وثيابك، ورائحة  
ـ يديك الذهبيتين  
ـ كن غاضباً أو سعيداً يا حبيبي  
ـ كن شهيداً أو فاتراً فإننى أهواك  
ـ يا صنوبرة حزينة فى دمى  
ـ من خلال عينيك السعيدتين  
ـ أرى قريطي، وخطواتي الكثيبة  
ـ بين الحقول

من منظور اقتصادي و بعيداً عن نظرية المؤامرة

أول دراسة علمية عن:

## الإنتاج السينمائي المصري الأوروبي المشترك

### أمل الجمل

الإنتاج السينمائي المصري الأجنبي المشترك كان، ولا يزال من القضايا الشائكة، محل الخلاف الدائم بين عدد كبير من السينمائيين، والنقاد .. البعض يدينه ويشكك في نواياه وتوجهاته الإعلامية، البعض الآخر يُرحب به .. لكن تقييم هذه التجربة يحتاج إلى التدقيق، والتبروي في الأحكام بعيداً عن المبالغة .. فالتجربة شأنها شأن التجارب كلها، لها إيجابياتها وسلبياتها .. نقاط قوة، ومكامن ضعف .. وتحتاج إلى مناقشة هادئة.

صدرت مؤخراً دراسة علمية من منظور إقتصادي بعنوان: «المشاركة والتعاون المصري الأوروبي في مجال صناعة السينما» للباحثة د. دينا جلال - مدرس بجامعة قناة السويس - والبحث صادر عن مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم

السياسية. قام البحث على أربعة محاور :

أولها مدخل عام للمكون الثقافي في الطرح الأوروبي وأبعاده الاقتصادية والسياسية . وفيه ترى الباحثة أن صناعة السينما الأمريكية أدت مهمتها الترويجية في خدمة المصالح التجارية والإقتصادية والثقافية الأمريكية خلال أكثر من خمسين عاماً مما يفسر غياب الدور الثقافي - المرتبط بدعم الفنون والثقافات - من برنامج المساعدات الأمريكية . في حين يهتم الجانب الأوروبي بالكون الثقافي ليس فقط بين شمال وجنوب المتوسط ، لكن أيضاً في الحوار الأوروبي الأمريكي المعاصر . فيصل أحياناً لحد الصراع . خاصة بين أمريكا والمجموعة الفرنانكوفونية وتتصدرها فرنسا . بشأن الاستثناء الثقافي .

"الاستثناء الثقافي " تعبير فرنسي يقضى بضرورة استثناء المنتجات الثقافية وعلى رأسها السينما من شروط تحرير التجارة حفاظاً على الخصوصية الثقافية للشعوب . وحماية الأفلام المحلية من السيطرة الهولندية . وذلك في إطار التصدى لدعوة تحرير التجارة الدولية للسلع الثقافية . وهى الدعوة التى طالب بإزالتها التشريعات القانونية الخاصة بالقيود والضرائب المفروضة على الأفلام الأمريكية وإلغاء أي دعم على تلك المنتجات . مع ملاحظة اعتماد صناعة السينما وإنتاج الأفلام فى أوروبا على التمويل المؤسسى من صناديق دعم السينما والتى تقوم بدورها فى دعم الآخرين وخاصة إفريقيا وجنوب المتوسط متضمناً مصر .

في المحور الثاني طرحت الباحثة أهم المؤشرات الإقتصادية والإجتماعية المرتبطة بدعم الجانب الأوروبي لصناعة السينما في مصر . ومنها الاتجاه من دعم ومشاركة المبدع الفرد إلى المؤسسات الرسمية واستقطاب أطراف محلية وأوروبية جديدة ومتنوعة . لم يتوقف الشريك الأوروبي عند تمويل إنتاج الفيلم الروائي أو التسجيلي . لكن امتد التعاون إلى البنية التحتية للصناعة مثل التدريب على كتابة السيناريو وتنمية المهارات التقنية . وتدريب الكوادر الفنية خلف الكاميرا والمساهمة في حماية التراث السينمائى بعمليات الترميم . أفلام المخرج صلاح أبو سيف . والتعاون من أجل استعادة المفقود منها خارج الحدود . ودعم المهرجانات المحلية ذات الصفة الدولية مثل مهرجان القاهرة السينمائى . وبعد أن كان الطرف الأوروبي يعني فقط فرنسا

ظهرت أطراف إسبانية وإيطالية .

تاتي أهمية التعاون المشترك في إتاحة الفرصة أمام الطرف المصري للحصول على حصة في أسواق العرض والتوزيع الأوروبية سواء في دور العرض . أو في القنوات الفضائية .. والمساعدة على تواجد أفلام الإنتاج المشترك الأوروبي متواسطى في المهرجانات الدولية . والمتخصصة .. في المقابل يحصل الطرف الأوروبي على حصة من السوق المصرية لتحقيق أهدافه الاقتصادية والثقافية المرتبطة بالدعم . وأهمها تأكيد التعددية ومقاومة الهيمنة الهولندية . ودعم مبدأ الاستثناء الثقافي المنتجات الفنية والثقافية عامة .. وإعادة توزيع سوق الفيلم الأجنبي في مصر في ظل عدم التكافؤ بين الفيلم الأمريكي المهيمن والأوروبي شبه الغائب .

نفت الدراسة قيام الإنتاج السينمائي المشترك بسحب الفرص البديلة للإنتاج السينمائي العربي . إذ يصعب الحديث عن رؤية أو تصور لإنتاج سينمائي عربي مشترك في الأجل القصير رغم وجود مقومات صناعة سينما في مصر وصناعة مهرة على مستوى عالي في المنطقة العربية . والسبب غياب القدرة على توظيف الطاقات البشرية العربية في اتجاه تنشيط السوق العربية . واعتبرت الدراسة أن التعاون والمشاركة السينمائية مع أوروبا تقع في منطقة وسطى ما بين "ملء فراغ ما " والإضافة النوعية للقدرات والإمكانات المتاحة . خاصة في ظل أزمة السينما في مصر المتمثلة في نقص التمويل . وتراجع دور الدولة في الدعم المباشر . وتراجع الإنتاج الكمي السنوي من الأفلام الروائية الطويلة وتراجع الطلب الخارجي على الفيلم المصري . والفجوة بين عدد الشاشات المتاحة والمزيد وعدد الأفلام المحلية . أكدت الدراسة أن الإنتاج المشترك كان الملاذ والملجأ للمبدع الفرد . ولو لا ما خرجت العديد من الأفلام الإنتاج المشترك .. فإذا أمكن على نحو أو آخر إنتاج أفلام يوسف شاهين بعيداً عن التعاون المشترك . لكن من المستحيل تماماً إنتاج أفلام يسرى نصر الله . أسماء البكرى - عاطف حاته . فهى تتمتع بقدر من الحرية لم يعد متوفراً في الأفلام المصرية الخالصة . وبقدر من التقنية يتجاوز إمكانات الاستوديوهات والمعامل المصرية .



2006

تطرق الباحثة للانتقادات التي تُؤخذ على الإنتاج المشترك أنه مغلق على مجموعة بعينها لها مقومات خاصة مكنتها من طرق أبواب المنتج الأوروبي وفتح قنوات التعامل معه . واستيعاب الآليات هذا التعاون وفك شفرته .. كما أن البعض يرى أن أفلام الإنتاج المشترك أقل نجاحاً بمعايير الشباك التجارية . لكن الممول الأوروبي يقيّمها في ضوء مضامونها ومحتوها الثقافي والفنى .. وهي تضم أنواعاً تقع تحت مسميات سينما المؤلف . سينما الرؤية الذاتية أو سينما الفن . ويُطرح بوصفها الفيلم النبوي في مواجهة الفيلم الجماهيري . أو سينما المثقفين في مواجهة السينما الشعبية .

في المقابل يرى البعض أنه لو لا الإنتاج المشترك ما شاهدت أوروبا ما أتيح لها من أفلام مصرية مشتركة معاصرة . كما أن المساهمات المشتركة تعتبر من أهم ركائز الاشتراك في المهرجانات الدولية الكبرى مثل مهرجان "كان" وخاصة خلال السنوات العشر الأخيرة . عرض في مهرجان "كان" ٢٠٠٤ فيلمين إنتاج مشترك مع الطرف الأوروبي لكل من يوسف شاهين ويسري نصر الله .

البعض الآخر يتهم الإنتاج المشترك ويطرد في أفكاره إلى حد الاعتقاد في نظرية المؤامرة .. أو يصفها بأنها أفلام تتبع الفلكلور أو تصدر التخلف .. لكن المؤيدون والمستفيدون يرددون بأنهم يتمتعون بهامش من حرية التعبير في أفلامهم المشتركة . مع الإقرار بهامش من التنازلات . يفرضها الواقع العملي كجزء من مضامون أي إنجاز جماعي . وكشرط لخروجه للنور أيًّا كان مصدر التمويل .. وتشير خبرات الواقع العملي إلى عدم خلو أي صناعة سينمائية - مهما بدت شروطها مستقلة - من التقديرات غير الفنية التي تفرضها اعتبارات الإنتاج والتسويق والتكنولوجيا والإمكانات الفنية والحسابات المجتمعية والسياسية . أيًّا كان مصدر التمويل أنظمة سياسية . قطاع خاص محلى . موزع خارجي . مؤسسة رسمية . أو إنتاج مشترك .

لكن يُؤخذ على الدراسة أنها تحدثت عن هامش من التنازلات يُقدمها مخرجى الإنتاج المشترك دون أن تذكر نوعية هذه التنازلات ومقدارها ومن هم السينمائيين الذين قدموا هذا الهامش من التنازلات خاصة أن المقابلات التي أجرتها الباحثة مع



المخرجين السينمائيين قليلة جداً . فقط مع مخرجة روائية وثلاثة تسجيليين . اختتمت الدراسة بعدد من التناقضات منها تراجع دور الدولة في الدعم المباشر لصناعة السينما مقابل تزايد الدعم المؤسسي الأوروبي لتلك الصناعة في مصر وبلاد المتوسط وأفريقيا .. وغياب التعاون المشترك العربي يقابله تعاون عربي " عبر متوسطي " . في إطار منظومة إقليمية أكثر اتساعاً في أطرافها " البحر المتوسطية " بفعل المشاركة مع الطرف الأوروبي مثلاً ما حدث في مشروع نساء رائدات الذي ضم جنسيات عربية مختلفة من مصر ولبنان وتونس المغرب الجزائر .

## الطيور المهاجرة وقصص أخرى

إيمان عبد المؤمن

إذا كان للمثقف دوره المؤثر في مد الجسور، والتعرف والتعريف بتراث الآخر، انطلاقاً من رغبته الأكيدة في معرفة الآخر والتواصل معه خصوصاً إذا ما عاش معه فترات تاريخية طويلة تحت مظلة واحدة .. كان فيها اندماج، وتناقض أحياناً.. تصارع، وتسامح وتصالح أحياناً أخرى، إلا وهى مظلة الحضارة الإسلامية، وإذا ما كان هذا الآخر قريباً منا.. لصيقاً بنا.. لا تصارع أو تصادم منافع فيما بيننا بل الهموم واحدة.. والطموحات قريبة.. كانت هذه الإطلالة على بعض من نماذج القصة التركية القصيرة في العصر الجمهوري في كتاب يقع في ٣٢٠ صفحة، ضمن إصدارات سلسلة آفاق عالمية - الهيئة العامة لقصور الثقافة تحت عنوان (الطيور المهاجرة) وهي ترجمة عن اللغة التركية الحديثة والمعاصرة مباشرة للدكتور .. الصفصافي أحمد المرسي القطوري وهو حاصل على الدكتوراه في اللغة والأدب التركي من جامعة استانبول وحاصل على الجائزة الأولى في ترجمة الأعمال الأدبية والقصة التركية القصيرة من رابطة الأدب الإسلامي العالمية في ٢٠٠٢ وهو صاحب أول معجم في العالم من التركية

الحديثة إلى اللغة العربية، وقد عمل في عدد من الجامعات العربية وفي جامعة صوفيا ببلغاريا ويعمل حالياً أستاذًا للغات الشرقية وأدابها بجامعة عين شمس.

ليكشف لنا الكتاب أن (فن القصة القصيرة) كنوع أدبي - بالمفهوم الغربي الحديث - لم ينسد في تركيا إلا قبيل نهاية القرن التاسع عشر، وبداءت القرن العشرين، ويعتبر أحمد مدحت أفندي (١٨٤٤ - ١٩١٣) مؤسس القصة الحديثة في الأدب التركي، والذي أورد أفكاره التنويرية في مجموعته (أقصاصيص تربوية) التي شكلت معبراً بين النكتة الفولكلورية وحكايات الحيوان نحو القصة الأوروبية المبكرة، ثم تابع منهجه في التنوير في سلسلة (أقصاصيص مرحة) وتطور إنتاجه المبكر تحت تأثير الكلاسيكية الفرنسية حتى وصل إلى الواقعية التنويرية وتجاوزها، والتي خطا بها كل من سامي باشا زاده سزائي (١٨٦٠ - ١٩٣٦) ونابي زاده أكرم (١٨٦٢ - ١٩٣٢) إلى الواقعية النقدية.

ويذكر الكاتب أنه من خلال النقد الأدبي والترجمات، تعرف المثقف التركي على أهميات الأعمال الأدبية لكتاب الأدب الغربي الحديث بصفة عامة، والفرنسي بصفة خاصة، مما ساعد على إنماء الذوق الفني للكاتب والمتلقي معاً، كما تعمقت المفاهيم الفنية والفكرية للكتاب الذين اخذوا - في غالبيتهم - مواقف معاصرة لسلط الإقطاع.. واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

ويشير الكاتب إلى تجليات القصة النفسية التي جاءت على يدي خالد ضيا أوشاقلى غيل (١٨٦٦ - ١٩٤٥)، الذي وضع الناقد الأكاديمي أ. كونراد أعماله ضمن الأدب الواقعى العالمى وفي مصاف ستاندال وبلزاك وديكنز وجوجول وتورجنيف ودستوفيسكى وتوپلسنوى وتشيخوف، لاستهامه الأساس النقدية لروائع الأدب الفرنسي والأدب الإسكندنافي والروسى ، بالإضافة إلى قدرته الإبداعية القصصية التي لا تنازع وامتلاكه لتجربة حياتية غنية، تغللت إلى الروح الإنسانية، أظهرت حساسية مفرطة تجاه التفاصيل الواقعية والهموم اليومية، كما تابعت خالدة أديب أدیوار (١٨٨٤ - ١٩٦٤) التحليل النفسي في قصصها القصيرة، وكانت هي ويعقوب قدرى قرة عثمان أوغلو القاهرى المولد (١٨٨٩/٢/٢٧) من أوائل من اتجهوا في

أعمالهم القصصية القصيرة إلى أعماق المواطن التركي في محيط الأناضول وقراءه. وينتقل بنا الكاتب إلى صراع (الفكر القومي) مع الأفكار والأيديولوجيات المتضادة خلال الفترة المتقدمة من إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ إلى إعلان الجمهورية في عام ١٩٢٣، والتي كانت الغلبة فيها للأدب القومي كنهج في القصة، والذي انتقل من الواقعية إلى الواقعية النقدية، التي تجسد التفاعل بين قوى الشعب التركي المناضل تحت تأثير الواقع المادي المتردي بعد الحرب العالمية الأولى ومعاناة حرب الاستقلال، ثم تعمقت التيارات القومية الواقعية عامة، والواقعية النقدية خاصة، التي جسدت الصراع بين الشرق والغرب في النتاج القصصي لهذه الفترة المتزامنة مع احتدام الصراع بين الدول الإمبريالية على إعادة تقسيم العالم.. وخاصة ممتلكات الدولة العثمانية، وعشية الأزمة العامة للأقتصاد العالمي.

ويشير الكاتب إلى ظهور عمر سيف الدين (١٨٨٤ - ١٩٢٠) كأبرز ممثلي الاتجاه الواقعى في تلك الفترة، والذي مزج في أعماله بين الوطنية والنزعة الإنسانية العامة، ثم مجيء رفيق خالد قاراي (١٨٨٨ - ١٩٦٥) أبرز الممثلين البارعين للواقعية النقدية، الذي وظف قدرته الإبداعية ضد النظام الحاكم وأصدر أعمالاً نقدية واقعية تمثل تطوراً مرحلياً.

ويحدثنا الكاتب عن رفيق خالد قاراي، الذي عرف القاري التركي - ولأول مرة - بقصاصاته الفلاح في (الحمار الأغبي) وقضائياً العمال في (ثمن الصمت) والاعتراض الوطني للشبان التركي في مواجهة الدور التخريبي لجنود البحرية الأمريكية في الموانئ التركية في (مواجهة القوة)، في الوقت الذي ظهرت فيه طبقة من الأدباء الموظفين، الذين لا هم إلا إرضاء رجال النظام، الذين استطاعوا الإيهام للمنتقدين أكثر من غيرهم بالسعى نحو تخلص المجتمع من سطوة رجال الدين واحلال الفكر العلمي والعلماني والعلقاني كوسيلة إلى خلق المجتمع الثوري الجديد، وفي المقابل على التقىض تمسك القرى وسكان المراكز والقصبات بمعتقداتهم الدينية الصوفية. وفي هذا الجو المتصارع، ظهر صوت (ناظم حكمت) الجديد (١٩٠٢ - ١٩٦٣)، الذي بشر بالثورة ضد الجفود والاستغلال، لإيمانه الراسخ بالعدالة الاجتماعية والإخاء



20 Oct 2020  
Mamidibutsolinein

الإنسانى، فاصطدم بالسيرة العسكرية، التى استطاعت خنق صوته داخل السجن لأكثر من ربع قرن.

وانتسبت حلقة القصاصين الواقعيين، والواقعيين النقادين على وجه الخصوص، والتى تفرعت فى دا�لها إلى تيارات مختلفة، فكان رشاد نورى كون تكين (١٨٨٩ - ١٩٥٦) الذى يقيم موضوعاته على عنصرى الحب والشفقة اللذين يهدفان إلى صلاح الإنسان ذاته، ثم فخرى جلال الدين (١٨٩٥) الذى جسد الهجائية اللانعة فى (طلاق ثلاثة) و(الطاعون).

ويتحرك الوضع الثقافى بعض الشئ بصدور مجلة الوجود (وارلق) سنة ١٩٣٠ م = ١٣٤٩هـ - ما زالت تصدر - والتى استطاعت مع تيار المشاعل السبعة خلق مدرسة (الأدب الاجتماعى) الذى أثرب فى كل التيارات الأدبية فى تركيا.

واشتتد وطأة ديكاتورية الحزب الواحد.. حزب الشعب الجمهورى، فانغمس البعض فى التصوير التأملى الذى لا يحمل هماً .. واتجه آخرون بالظروف الحياتية وجهة مثالىة، وغضدو الاتجاهات البورجوازية .. وهاجرت طائفة أخرى حفاظاً على إنسانيتها وعلى عقائدها، فى ذات الوقت ظهر صمد آغا أوعلو (١٩٠٩) الذى وقع تحت التأثير القوى لدستوفيسكى وصبح الدين على (١٩٠٦ - ١٩٤٨) بـ (الطاحونة) لتجسيد هذه الفترة المضطربة.

وينتقل بنا الكاتب إلى (الواقعية الاشتراكية) حيث خلقت أقاصيص (ناظم حكمت)، وأعمال (صبح الدين على) نطاً قصصياً جديداً فى الأدب التركى وهو (الواقعية الاشتراكية) الذى يسعى إلى تغيير المجتمع، وخلق الظروف الملائمة لتطور منسجم للإنسان، من خلال البطل الإيجابى عندهم وهو الشعب، وقد جمعت (الواقعية الاشتراكية) فى دا�لها مكاسب الاتجاهات الديمقراطى، حتى ذلك الوقت، فى كل فروع الأدب التركى، فطورتها، وأثرتها بقيم فكرية جديدة.

ويتحدث الكاتب عن (الفاشية)، التى أرادت إرهاب الأقلام الشابة.. الحر، فحكمت على (ناظم حكمت) الذى نشر أعمالاً يندد فيها بالاحتلال ويحض على الكفاح، بالسجن لمدد متداخلة، واعتقلت الشاعر والرسام عن الدين داينمو، والكاتب أورخان

كمال، وحكمت عليهما بأحكام مختلفة.

ويموت مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٨، يبدأ عهد جديد من (الديكتatorية والفاشية) بعد تولى عصمت ايتونو الحكم.. فالاحزاب ملغاة.. والآفواه مكتملة.. فلا صحفة حرة.. بل رقابة متسلطة.. سيطرة الحزب الواحد والزعيم الواحد. ويؤكد الكاتب أنه خلال سنة ١٩٤٥م = ١٣٦٥هـ وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، بدأ في الأفق إرهادات التعذيرية الحزبية، وفي سنة ١٩٤٦ انتقل النقاش من السياسة والديمقراطية إلى الدين والعلمانية، وإعادة تناولهما وتوجهاتها.

كما يشير الكاتب إلى ظهور ما يمكن أن يعتبر تمرقاً أو تناقضًا أو إفلاتاً وهو نشوء أحزاب عماليّة.. فلاحية.. إسلامية، نقابات عمال.. تحل.. وتعود فتظهر، صدور مجلات تقدمية.. ومحافظة، إضافة إلى تدعم موقف الإصدارات الدينية بعد وصول الحزب الديمقراطي إلى الحكم من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ أدى إلى ظهور نتاج قصصي فيما بين ١٩٤٣، ١٩٤٩ يعكس هذه الأزمات النفسية.. والضائقة المالية.. والمرضية.. فطالعنا (صباح الدين على) في (الدنيا الجديدة) ب شخصيات المستمدّة من قاع المجتمع الأناضولي بمسؤولية الفنان تجاه علاج مشكلات وطنه؛ وأعقبه خالى قارناتش باليفچي (١٨٨٦-١٩٧٣م) بمجموعته (مرحباً بالبحر الأبيض) وقد عقد فيها مقارنة طيبة بين إنسان البحر.. وإنسان البر، بأسلوب يعبر عن المعرفة والذوق والشفافية والتائق الروحي، كما انخرط سعيد فائق في كتابه القصصي (رجل لا لزوم له) في الحياة اليومية بكل مأساتها وأمالها وتعلماتها وفي الوقت الذي يعرب فيه (أوقتى إقبال) (١٩٢٣) من المشاكل الحياتية، دون أن يشير إلى مخرج في (الكنز البيزنطي)، فإننا نرى أوخان كمال (١٩١٤ - ١٩٧٠) في (معركة الخبن) (ولدنا) يهدف إلى الوصول إلى تشريح لقضايا المجتمع وأحداثه وفي قصته الرائعة (النوم) جسد حياة المصنوع والورشة وأثرهما في المجتمع.

ويشير الكاتب إلى أنه شهدت السنوات الأخيرة، من النصف الأول من القرن العشرين، بزوغ نوع قصصي جديد هو (القصص الهزلية الساخرة) ووصل هذا الطراز من الكتابة على يدي الساخر الباكي، الضاحك.. المضحك عزيز نسين

(١٩١٥ - ١٩٩٥) في مجموعاته المتالية، التي فاقت في إعداد طبعاتها وتأثيراتها كل تصور.

وتواترت نجاحات هذا النوع الأدبي .. خلال سنوات حكم الحزب الديمقراطي (١٩٥٠ - ١٩٦٠) وخلال هذه الفترة أيضاً تناول الإنتاج القصصي جرائم الفقر والعشوشائيات في القرى النائية والأحياء الشعبية، مما مهد لظهور تيار جديد في الأدب التركي عام، والقصة القصيرة بشكل خاص، لا وهو.. (التيار القروري)، الذي يعد خلاصة التجارب الاجتماعية ورابطة بين التراث الشعبي الحي، والفوكلور القديم.. ومزج بين لغة الشعب ومشاعره وواقعه، في إطار من الحميمية، والحميمية، التي تعتمد على الواقعية والصدق والموضوعية في التناول والمشاهدة الحية، وقداد هذا التيار القاuchi التقديمي محمود مقال (١٩٣٢) بعد أن نشر روايته الشهيرة (قريتنا) التي ترجمت إلى ما يزيد على خمسين لغة.

مع انتصار الحرية السياسية، استهدف الكتاب أمثال يشار كمال (١٩٢٣ م - ١٣٤٢هـ) بمجموعة قصصه الطويلة (الصفحة) و(الرضيع) و(الدكانجي) و(حكاية قذرة)، وابلخان طاروس في (حجر النملة) وبين اورخان كمال في (بنت الغسالة) إنسان الأناضول بكل مناطقه وإنما يكون.. في الشرق أو في الغرب أو في جنوب شرق الأناضول.

كما يذكر الكاتب أن عام ١٩٧٠ شهد بعض التغيرات السياسية التي أدت إلى زيادة ملحوظة في المجموعات القصصية الجديدة، وإعادة طبع بعض المجموعات لأصحاب الأسماء اللامعة، وزاد المجتمع من رصد الجوائز السنوية لمضمون القصة، كما دخل (الإسلاميون) مضمون السباق، وتناولوا في أعمالهم الفكر الإسلامي والأبطال، والرموز، والنقوش الإسلامية.. وتحلقوا جميعاً حول نجيب فاضل قيصه كورك (١٩٥٠ - ١٩٨٣) ومن بعده تلاميذ آخرون.

كما لم يكن (التجريديون) الذين ساروا على نفس درب التجريديين الغربيين بتأقل مهارة عن سواهم، فها نحن نرى ليلي أربيل (١٩٣١) توالى إصدار أعمالها اعتباراً من ١٩٦١ بـ (الحلاج) ١٩٦١م، و(في الليل) ١٩٦٩م و(امرأة غريبة) ١٩٧١م و(الحبيب

---

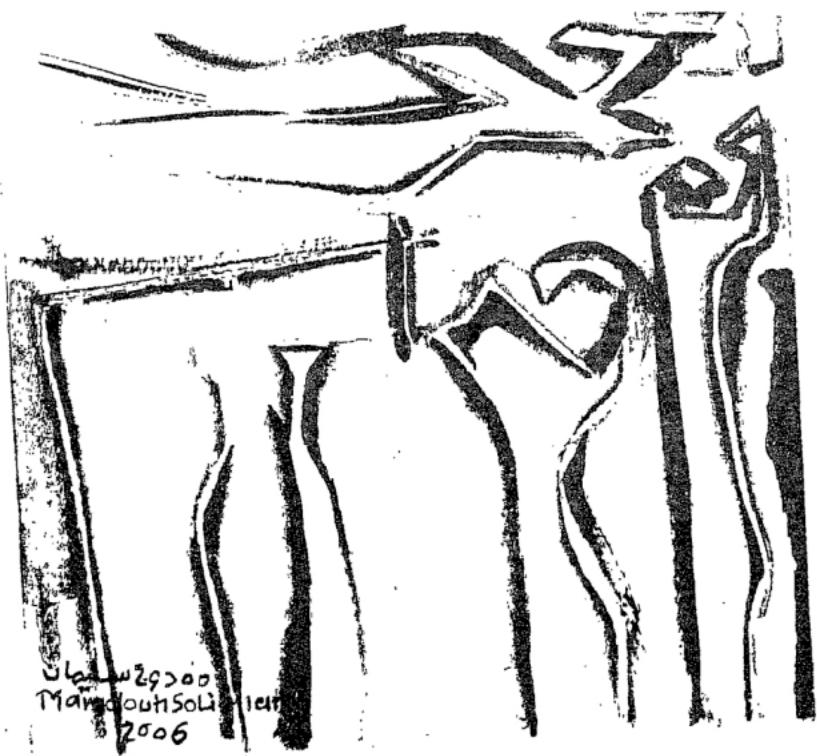
القديم) ١٩٧٧، ثم يعقبها فريد أدغو الذي جمع كل قصصه ونشرها سنة ١٩٩٣ ثم طوميرس أوبار (١٩٤١) صاحبة باع لا يستهان به في إرساء مفهوم (التجريد) في الفن القصصي.. و(نديم غورسيل) ١٩٥١ آخر التجريديين الكبار في الأدب التركي المعاصر.

ثم يلقى الكاتب نظرة على (ما بعد الحداثة) في القصة التركية المعاصرة باعتباره مازال مصطلحاً مبهماً في الأدب التركي عامه، والقصة القصيرة خاصة، ومن هذا المنطلق لا تستطيع أن تدعى أن هناك تياراً أدبياً قصصياً يجد ما بعد الحداثة في القصة أو الرواية أو الشعر التركي المعاصر، ويشير الكاتب إلى أمثلة من أنصار تيار (ما بعد الحداثة)، وهما (تال أورخان باموق) و(جودت بك وأولاده).

ونستعرض مع الكاتب (منتخباته)، التي كانت عاكسة للوضع السياسي والاجتماعي، والبوحية التي تتصهر فيها المشكلات الحياتية التي التقطتها حاسة القصاص من موهبته، فيتناول مع عمر سيف الدين (١٨٨٤ - ١٣٠٢ هـ) في عملين من أعماله الصدام بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ونقد الذات الإسلامية التي تسعى إلى تحقيق المنافع الشخصية بالخرافة، ونرى (خالدة أديب آديوار) في (الصبي همت) تمجد البطولة لدى أفراد الشعب، ونكشف عن عالم (سعيد فائق) في (السماور) و(المنديل الحريري) الثوري.. المفعم بالعاطفة، وتنطلق إلى ريف الأناضول، الذي يراه (يشار كمال) تجسيداً لكل مشاكل الأناضول الكبير، في عمل (الدكانجي) و(الطيوور المهاجرة) لنرى رصدأً لهذه الحياة وصورةً للاستغلال ونرى أيضاً نموذجاً لمعاناة المرأة القروية بعد هجرة زوجها.

ورغبة من الكاتب في أن يساعد على رسم البسمة ، بل في إطلاق القهقهة، التي تسقط بعدها الدمعة على حد قوله، أفضى قليلاً في نماذج (عزيز نسين) الساخر من كل فئات المجتمع التركي ومن نفسه أيضاً، محاولاً علاج أصعب المشاكل بالبسمة، فنراه عرّى أسلوب الضبط والربط في (خدمة وطنية) وركز الانتباه على المطامع السياسية في (مجنون على السطح) وتغنى بالحرية الحقيقة في (القطة السعيدة)، وطممس معالم الذكاء الأمريكي في (ليس في بلدكم حمير... !!) وعرى الاحتكارات

---



الأسرية والعرقية والخبث التجارى فى (مدفأة الكيروسين) وأخيراً نضحك ونغضب فى أن واحد مع (ناس ظفاء).

ويعود بنا الكاتب إلى الريف التركي المعاصر فى (قطف الثمرة قبل أن تنضج) ليعرض علينا (فقير بايكورت) زواج القاصرات رغم أنوفهن فى الريف التركى حتى فى نهايات القرن العشرين.

## آليات التشكيل في : «صمت الرمل»

خالد البلتاجي

-١-

إن المتن الحكائي عبارة عن مادة خام طيعة في يد السارد، وقابلة لأن تصاغ بما لا حصر له ولا عدد من الأشكال التعبيرية وفقاً لرغبته وتمشياً والاستراتيجية المتبناه من قبله نحو المسرود له، الأمر الذي دفع كثير من المنظرين لأن يولوا هذه المسألة كبيرة عنایتهم واهتمامهم، محاولين الإحاطة بها من جميع جوانبها سواء من حيث علاقة السارد بالشخصيات أو العلاقات التي يقيمها بمنتهي الحكائي، أو بمخاطبه، أو أن العلاقة بين المتن والمبني، أو بين القصة والخطاب محل إشكال ودراسة. وقد عانى كتاب الرواية وعلى نحو الخصوص بعد نكسة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ من التفتت، إذ أدت تلك الهزيمة إلى نوع من التشتيت والتشویش وتدخل خطوط الرواية لديهم جعلتهم يتبنون صيغًا سردية تتوازن في تداخلها وتشابكها مع تعقد خارطة الواقعين: المحلي والقومي، ولذا نتجت في الكتابات الإبداعية أعمال انمازت بالتشنج والتوتر في الواقع الرواية من قبل سارد كان - هو الآخر - واقعاً تحت تأثير ضغوط فكرية لم يكن منتظراً سوى إبداع أشكال كابوسية.

---

وقد لزم هذا التفتت من قبل المبدع أن يتعامل القارئ - هو الآخر - بشيء من التراكم، وأصبحنا بين ثالوث: وعي مفتت لدى المبدع، ونص مفتت أو متراكם، وقارئ يتعامل مع النص بشيء من التراكم ووعي ذهني حاضر.

- ٢ -

### النهاية في البداية / مبدأ الإحالات:

«لا يستطيع استيعاب ما حدث .. حاول الربط بين ما حدث بالأمس وما حدث أول ما جاء إلى هذه المدينة»<sup>٥</sup>. في صباح اليوم التالي لم يذهب إلى العمل، ظل ممداً ويقطأ لم ينزل القسط اللازم من النوم...»<sup>٦</sup>.

هكذا تبدأ/ تنتهي رواية: «صمت الرمل» للكاتب المصري: «محمد عبد السلام العمرى» ويحاول في هذه السطور القليلة أن يشير إلى جملة عناصر البيئة السردية: أحداثاً، وأزمنة، وأمكنة، وشخصيات، وضمير السرد.. إلخ. فالأحداث تتراكم ويحاول السارد تفسير ما حدث. كما يحاول الربط بين ما حدث له، وما حدث أول ما جاء إلى هذه المدينة وليلة أمس، وبالتحديد تكون ليلة أمس حينئذ - هي الزمن الخارجي أو الزمن الإطار، وكأن الرواية جميعها كانت رهن هذه الليلة. أى إن الرواية تسير وفق مبدأ الإحالات والتعليق، حيث لا يخبرنا بما حدث له بالأمس إلا مع نهاية الرواية بعد ثلاثة عشر مشهداً، وتتمد هذه المشاهد فيما يقرب من المائة صفحة أو بالكام.

أى تسير الرواية وفق حركة دائيرية تتعانق بالنهاية مكونة دائرة كبرى وثمة دوائر أخرى كثيرة تتولد مع كل مشهد من هذه المشاهد الثلاثة عشر.

هكذا نجد تراكمية الأحداث/ الأزمنة/ الأمكانات مع المطلع الأول للرواية، الأمر الذي يجعلنا نتدوّق براعة الاستهلال، إذ استطاع الكاتب أن يضعنا في قلب الأحداث ويقدمها لنا دفعة واحدة. وإذا كانت هذه هي القصة/ المتن. فلقد تبقى - إذن - البحث في كيفية تشكيل الخطاب بتعبير «تودروف».

وتنداعي أحداث الرواية - هذا إذا كان ثمة أحداث من الأصل بالمفهوم التقليدي

للحدث - وعبر بنية الصمت وألياته يطرح الكاتب كثيراً من تقنياته البنائية المختلفة ولعل أهمها: الحلم/ التداعى / التناص/ المونتاج العقلى/ الوصف.. إلخ.

ومن الجدير بالذكر، هنا أن يصبح الصمت إحدى أليات السرد ومكوناً أساسياً من مكوناته في تشكيل هذه الرواية، فمادة «الصمت» وردت في النص الروائي أكثر من ثلاثة وأربعين مرة فضلاً عن «صمت الرمل» عنوان الرواية.

وكما هو واضح، أن «صمت الرمل» نحوياً إنما يقع مبتدأ، ومضافاً إليه، أي : لا يكون جملة مفيدة، فهو مبتدأ في حاجة إلى خبر، ولعل قصد الكاتب أن يشير إلى أن ما حدث ليلة أمس (أي جملة أحداث الرواية) هو ذاته الخبر، وربما قصد الكاتب أن يلفت نظر القارئ إلى أن هذا الصمت هو ذاته الخبر، وحيثند يجب أن نقرأ الرواية هكذا: «هذا صمت الرمل» .. ويظل اسم الإشارة: (هذا) الواقع مبتدأ إشارة/ إحالة إلى مجهول لا يتضح إلا بقراءة النص ذاته. والتنتجة تصبح واحدة ففي كلا الأمرين يحيلنا الكاتب إلى النص.

### ١-٣

أما عن الصمت ذاته - بوصفه أحد مكونات السرد وألياته الأساسية كونه واقعاً مبتدأ لخبر محذوف أو خبراً لمبتدأ محذوف - فقد ورد في النص السردي أكثر من ثلاثة وأربعين مرة على نحو ما أشير إليه - وهذه المرات المتعددة لا يمكننا أن نقول إنها وردت فيها كلمة الصمت، ويصمت ، وصمتوا .. إلخ.

- نجد أن هذا الصمت قد شمل جل أليات السرد من أحداث وشخصيات، وأمكنة، وأزمنة أو كلها ..

فالصمت - في ذاته - حدث ، وأن كان حدثاً بالسلب ، لكنه سيتحول إلى حدث إيجابي في نهاية الأمر على نحو ما سنرى.

أما عن صمت الشخصيات فلم يقتصر على شخصية بذاتها وإنما شمل جميع شخصيات الرواية بشكل فردى أو جمعى..

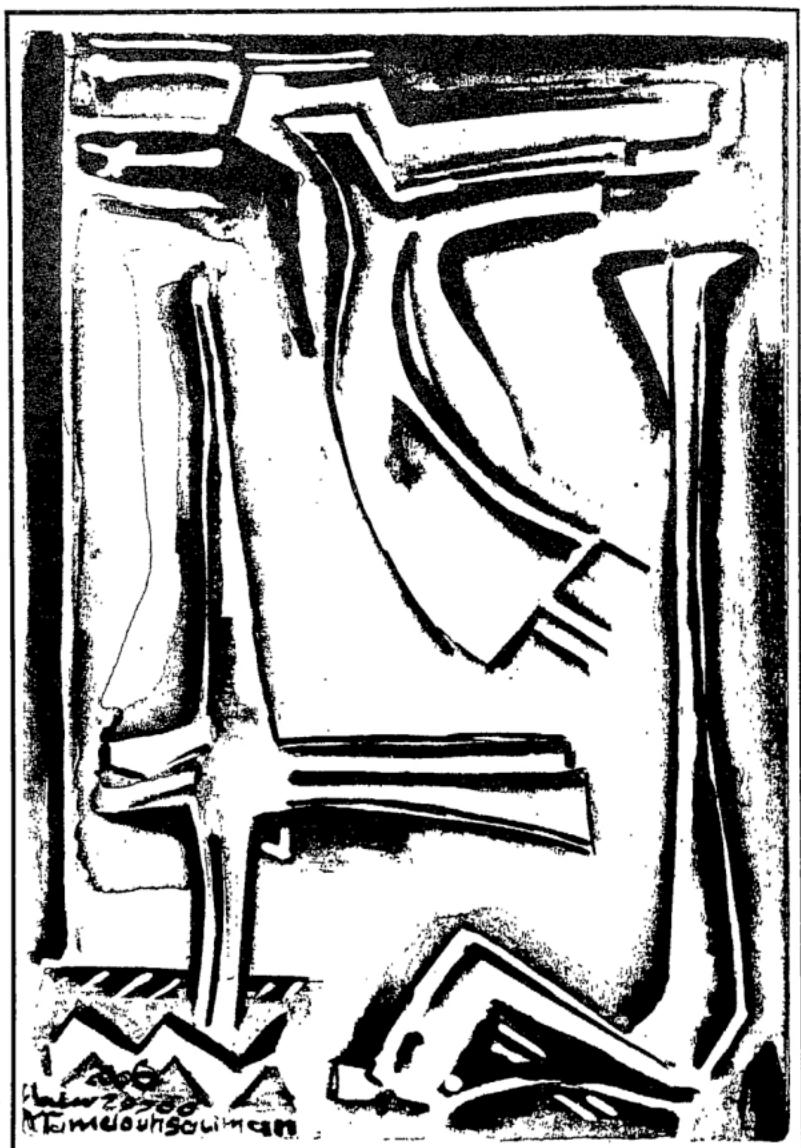
مثال قوله: «صمت الدكتور كلكتوارى - صمت قليلاً (الضمير هنا يعود على عصمت

الفار)، صمت ولم يستطع أن يتحمل (عبد الحميد راجح)، صمته جذب الانتباه إليه (د. رشدى)، ثم صمتت (نورا)، وكذلك عمرو الشرنوبي - كان صمته مختلفاً فوراً لنا مرة صمت العاجز عن فعل أي شيء من نوعه، ففى الليلة التى هاجمت الشرطة منزله ومكتبه وعلى الرغم من هذا الهجوم لم يكن أمام عمرو غير الصمت التام. كما نجد صمت الساخر والمستهزئ، حينما دخل مكتبة أحد مستضييفيه ووجدها (المكتبة) صورة هي الأخرى من صور تعميق العزلة الإنسانية وحلية تستكمل حلية الحضارة. وأمام هذه المشاهد وغيرها لم يكن أمام «عمرو» غير كونه «يغلى بصمته» أو بالأحرى يغلى بعجزه ورضوخه لما ححدث ومازال يحدث . وتنتهى الرواية على لسان عمرو «بالصمت» إذ يشير إلى ذلك قائلاً: «فصممت رغم كل هذه المشاهدات وهذه الأحداث». كما نجد الصمت الجمعي لأكثر من فرد فيقول: «إنهم الآن صامتان واجمأن». وأيضاً نجد قوله: «يا الله يا لهؤلاء الناس هادئون هكذا صامتون، مهدبون، يتحدون صمت يوافقون بصمته» وكأن الصمت - هنا - تسرب وتغلغل إلى هواجس الشخصيات، فسائر الشخصيات تعرضت للحظات صمت أى أنها عبرت بالصمت.

## ٢- ٣

كما نجد الصمت/ المكان أو سيطرة الصمت على فضاء الرواية أو أمكنته، وتصبح الرواية مفعمة أجواءها بالصمت الدال؛ ففى البداية نجد قوله: «ساد الصمت، مشغولاً بالتفكير، يناقش الرأى من عدة أوجه» وكأن السيادة هنا صارت للصمت وكأنه البطل، فضلاً عن سيطرته المكانية..

وكذلك نجد قوله: فيما كانت الطائرة تخفق بهم فى بحار الصمت متوجهة إلى ديسنراكو.. (ص ٦١)، وعندما يتحدث عن الزوجة التى ربما كان يتمنى أن يتزوجها (أخت أمانى) فيشير إلى هذه الزوجة التى لم تحدث فيقول: «حتى يفخر بها فى صمت الصحراء».. ثم يسيطر الصمت على أجواء الرواية، فيقول: «بدأ الصمت مخيمًا»، ثم يأتي الصمت من الآلة ليسسيطر أو يفرض على الأجواء فيقول: «اعلن ميكروفون الإذاعة الخارجية «التزام الصمت»، فهو يتوجه إلى الجماعات بأسرها -



---

على حد سواء - أهل المكان أو الدخاء عليه.

٣-٣

أيضاً نجد الزمن الصامت، أو سيطرة الصمت على أزمنة الرواية. هذا إذا أخذنا في الاعتبار أن ثمة أزمنة متداخلة في الرواية، فمثلاً يوجد فيها الزمن المرجع / الزمن الإطار الذي يحكم القصة من البداية حتى النهاية. نجد أيضاً من الخطاب، أى : الأزمنة الداخلية تلك التي تتزايد وتتعدد وتتداعى حسبما يرى الراوى أمكنة جديدة أو شخوصاً أو أحالمًا تداعى حسب المونتاج العقلى أو الحلم .. إلخ.

أما نماذج الصمت على زمن الرواية والأزمنة الأخرى المتداعية.

كما يسيطر الصمت على سائر المخلوقات الأخرى غير الإنسان في الرواية: فيقول الراوى عن الكلاب: «لا تفتّأ تصمت حتى تواصل من جديد». ويجسد الصمت تجسيداً مخيفاً كى يضيف إلى فزعه وخوفه فزعاً وخوفاً جديدين، فيقول: «وبدا الصمت فحيحاً».

#### ٤ - آليات الصمت وتشكيل بنية الرواية: ٤ - ١ الحلم

رأى القدماء أن الحلم صورة ترد عليهم من عالم ما فوق الطبيعة، وسائل إلهية فوق مستوى البشر، إلى أن جاء «أرسطو» بتفكيره العلمي فكان أول من أرسى وجهة النظر النفسية في دراسة الأحلام وأنها ليست رسائل إلهية، بل هي نشاط نفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها في نومه.

بينما يرى بعض العلماء أن الحلم ما هو إلا استثناف على نحو ما لحياة اليقظة، وإذا تأملنا أحلامنا وجدنا استمراراً من نوع ما لما يجري في حياتنا التي تشغله تفكيرنا. وهكذا فإن الأحلام ما هي إلا استمرار لسرمدية حياة اليقظة. واستطاع السارد في رواية «صمت الرمل» عبر المادة الحلمية التي وردت حوالي ثلاثة مرات في النص السردى أن يقدم لنا الرؤية الروائية مرة ثانية ولكن من وعي الكاتب أو من خلال اللاوعي، فإذا كان الحلم الحقيقى يمثل اللاوعي، فالحلم العقلى أو المونتاج العقلى

---

يمثل وعي الكاتب، فهو يقطن وفي أسمى درجات وعيه ونشاطه الذهني. ولا يمكننا فصل الحلم عن المنتاج فكلاهما يكتمل فيما جاعنا في الوعي يعمقه الحلم أو العكس بشكل أفقى في الوعي يأتي في الحلم بشكل رأسى وهكذا.  
ومثال ذلك:

### - الحلم :

نجد في بداية الرواية تساؤل عمرو الشرنوبى: لماذا حدث كل هذا؟ ولأنه يحيلنا إلى مجھول ولا يتضح لنا ما حدث إلا مع السطور الأخيرة من فشل وهزيمة واستسلام ورضوخ يأتي لنا الحلم الأول استشرافياً، حيث يحمل ما سوف يحدث عبر هذا الحلم/اللاؤعى يقول فيه: (ص ١١) «أخذته سنة من النوم، رأى في إفراطه حلاماً غيمة ودخاناً وضباباً يحيط به، كلما انتقل من مكان إلى آخر وجدها فوقه، تتبعه أينما رحل، يراها في حالة صراع وجبلة وصلصلة كأن مادتها الحديد والاحتباك، كأنها الجنائزير تلتقي حول معصميه وساقييه ورقبته وعقله، كلما ذهب إلى مكان وجدها تحوطه مبتعدة عنه أحياناً، تتعقبه أحياناً كثيرة، يحاول التوارى والهروب دون جدوى، يجدها متربصة، أصبح رجلاً مسناً متزوجاً له أولاد، أبيض فوداه، وخط الشيب شعره، أصبح شيئاً ملزاً تتعقبه، عاش حيناً من الدهر زاد كثيراً مما توقعه لنفسه في محاولة الفكاك، لاحظ أن التعب لم يتل منه، وكلما رأها زاده هذا قوة وتجدداً».

هكذا نجد الحلم يدور في حركة دائنة عبر الأفعال المضارعة التي تتتصدر كل جملة من جمل هذا الحلم تماماً كدائرة الطوق الذي يلتقي حول معصميه، وساقييه، ورقبته، وعقله. ففي المادة الحلمية ذاتها نرى الدائرة المحكمة عبر المادة اللغوية أو الأشكال الكابوسية/جنائزير تلتقي، لكن يبقى الأمل، ففي نهاية الحلم على نحو ما رأينا أنها لم تتل منه بل زادته هذه القيمة قوة وتجدداً.

ثم يأتي لنا الحلم الثاني الذي ينقل لنا الرواى فيه ما وصلت إليه هذه المدينة التي يعيش فيها من تخلف وجمود ولم يكن ازدهارها سوى ازدهار شکل أجواف أيضاً يأتي لنا حلماً استشرافيًّا يعمق على المستوى الواقعى بعد ذلك، وربما ينصره الحلم

الواقع في السطور التالية مباشرة للمادة الحلمية، ففي الحلم نجد قوله:  
أخذ سنة من النوم، فلم ير في أحلامه إلا طوفانات إثر أخرى، كتبًا منحدرة تجرفها  
السيول، رأى المغول ونهر دجلة مليئاً بالكتب وهارون الرشيد والمؤمنين ينقذان ما  
تبقي، أخذ على عاتقه مساعدتهما يعلم بهمة وإخلاص شديدين، العرق يتتصبب منه  
أحسن أن طاقته وهنت ونفذت فاستيقظ راضياً عما قام به» (٤٢).

فإذا كان الحلم يفرض علينا أو يرجعنا إلى واقعة هجوم المغول على بغداد وغيرها  
من العواصم العربية والإسلامية وإحراقهم لأهم المكتبات العربية وأعظمها - فعلى  
المستوى الواقعي نجد زيارة السارد/ عمرو الشرنوبى لأحد مستضييفه فى هذه  
المدينة ويجد كتاباً كثيرة ومكتبة ضخمة لكنها على الرغم من هذه الضخامة والجمال  
لا تزيد الإنسان إلا عمقاً في غريته وعزلته فكلها كتب تتحدث عن الموت وتتمجد  
الشيطان والقبر وعداته.. إلخ.

أيضاً ينصلح المستوى الواقعي / الوعي / مع المستوى الحلمي اللاوعي في الحلم  
الثالث (ص ٧٦، ٧٧).

فعمرо الشرنوبى يتقابل في الواقع مع سناء ويحدث بينهما ما يحدث من تعبير عن  
الحب والمشاعر الفياضة إلا أنه يراها / واعياً، حزينة تتألم فيقول: «ثمة انتفاضة قلب،  
أسى وحزن وشجن، قلق يحتاج هذه الإنسنة البالغة الرقة، بدا أنها ترتعش.. إلخ». يأتى الحلم ليعمق هذا الحزن ويفسره، (٧٧): جاءاته في الحلم صامتة وحزينة، استيقظ ملفوفاً بطبقة رملية كثيفة وناعمة، لها سمك وحجم، ترتفع في أماكن عن  
آخرى تنزع الرياح في الخارج، ألوان الزجاج تصطك مع حلوق الشبابيك، تسرى  
الشعريرة في جسده، سحابات الجير المترسب تحجب أشعة الشمس، تجعل السماء  
قريبة، تتسلط الأمطار جيرية ناعمة، حاول أن ينأى عن غاللة الريح والمد».

ثم يعود بنا إلى المستوى الواقعي ليؤكد ما حدث في الحلم، ويصبح حينئذ الحلم  
استشرقاً لما سيحدث في الصباح: يذهب عمرو إلى سناء كي يذهبها ليشترياً لوارم  
الزواج يجدها قد تم ترحيلها إلى مدينة جارثيا.. وكانت الخطوة الأولى لترحيلها كلية  
إلى القاهرة..

## ترجمة

# عصافير و زهور

شعر: سارة كيرشى

ترجمة: عبد الوهاب الشيخ

ولدت الشاعرة الألمانية الكبيرة سارة كيرشى عام ١٩٣٥، وتعد أبرز شاعرات جيلها. هاجرت إلى برلين الغربية عام ١٩٧٧ احتجاجاً على سحب الجنسية من مؤلف الأغاني فولف بيرمان. وهى شاعرة غزيرة الإنتاج تتناول فى قصائدها الحب والطبيعة من زاوية مختلفة، حيث ترکز على التوازن بين ما هو إنسانى وما هو سام، بين الثقة المفرطة والكتابة، بين التكنولوجيا والطبيعة. من أحدث مجموعاتها الشعرية:  
«أنا كروز» ١٩٩٥  
«بلا قرار» ١٩٩٦.

## شموس

الآن حيث حل الصيف  
للتقو، ليست لدى أية  
شموس. ولكن في الشتاء كان لدى  
منها أكثر مما أردت.  
حتى أنه ذات مرة كانت هناك سبع شموس  
في السماء، شكلت  
الجوزاء لأجلِي.

## كل شيء عصافير وزهور

في ضوء القمر أسمع صوت  
تعثر وسقوط  
لقد ترك  
أحدهم النجار يأخذ  
المقاسات. آه

العتمة تدوم  
وتدوم. إذا شهدت  
الصيف سأحيا  
راقصة.

## موج ماء

كائن ليلي يلوح مبكراً على الطريق  
تمرق العرسة في فرائتها الملكي  
منزلقة على حذاء تزلج دقيق

---

تطير خلف البومة في  
غابة المستنقع. تلك التي سماها خضراء

### موسيقى شتوية

شعياً أحمر كنت  
ذات مرة، بوابة عالية  
أحصل على ما أريد.

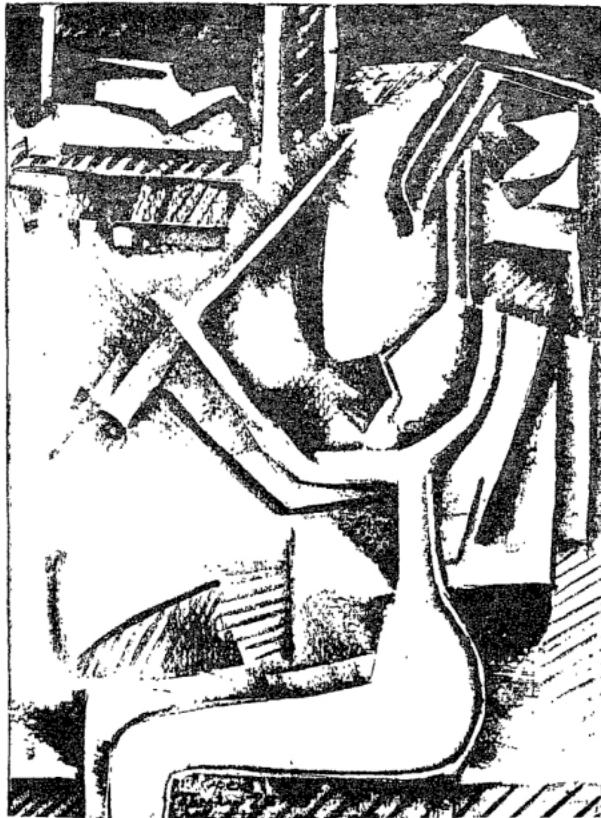
رمادية «أنا الآن أمطار» رمادية  
نحوت في الوصول إلى جرينلاند  
في قلبي

فوق الساحل يلتمع حجر  
مدون عليه: لا أحد يعود  
هذا الحجر يختصر حياتي

أركان الأرض الأربع  
يغمرها الأسى. الحب  
مثل قرقة العمود الفقرى.

### سناج

السياح في النهاية  
قد ماتوا. يطيب لى الذهاب



عبر المستنقعات . سرب أوز  
يمتد طويلا . ثلوج متغائر  
فى باب ثلاثة مفتوح  
علب بنزين وويسكي  
ريح «صافرة» ثرثارة .

## وجه الفراولة، ماس جدائها..

### (إلى فارس عودة)

عبد الناصر صالح

ولد معجزة..  
عاد من نومه تحت ظل الصفيح  
وأودع أحلامه غيمة،  
وعصافير تعبّر صوب المخيم  
رتب أشياءه في الحقيقة:  
أقلامه  
صورة الأهل،  
رائحة القمح  
واجبه المدرسي،  
شاشة وجه المعلم أو عنقه حين يغضب  
رهبته حين يفشل في حل أسئلة الامتحان،

وفرحته حين يمضي إلى الجائزة.



ولد معجزة..

يفتح الآن نافذة الشمس  
حتى تضيء ذؤابتها أية الصدر،  
يبعث أغنية للغزالة

وهي تجوب الزقاق على هدي أنفاسه  
(يتذكر:

وجه الغزالة مفتاح لليراعات  
حين يجف الكلام،  
يسيل الهواء دماً صافياً)  
يتهدأ للصحو..

أى الドروب سيسلكها دمه؟  
أى قنبلة ستفجر رأس الفتى  
وتبيط اللثام عن الجرح  
(والجرح أوسع من دورة الأرض  
والقلب أكبر من لفحة الغائبين؟)  
يتهدأ للصحو..

قال الفتى وهو ينفض أعباءه:  
ليس يأخذني النوم من يقظة السيف،  
لا وقت للنوم،  
لا وقت لالانتظار قليلاً لكي تعبر الحافلات،  
عقارب ساعته سوف يدركها الوقت  
والأصدقاء - يجيئون  
يتوجهون إلى أول العمر:

---

رأياتهم  
والنشيد المؤجل،  
والشجر النبع والقدس والعرس  
والطفل يصعد أدراجه الظاهرة.

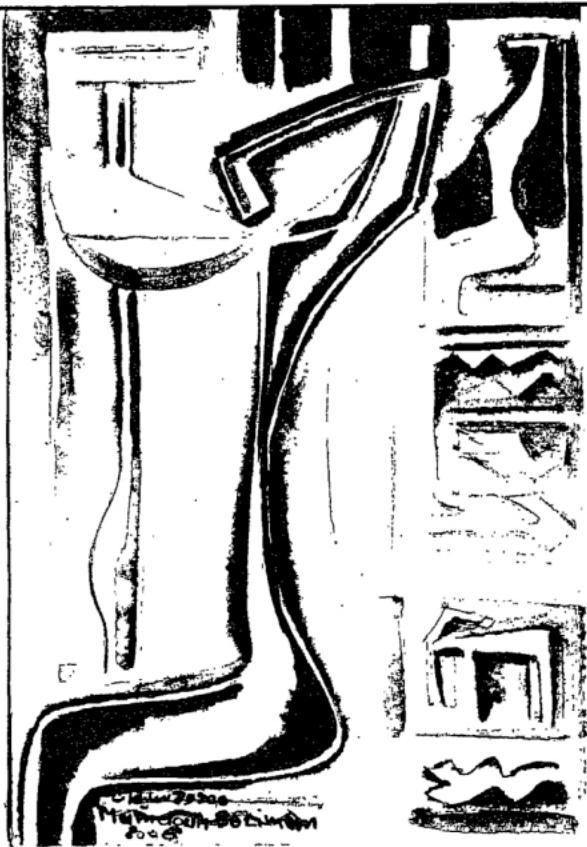
● ● ●

إنه الولد المتمثل في طلعة النجم،  
والوطن - الحلم دينه  
عائد من فصول الشقاوة،  
ما ألقى الحرب أثقالها ليتام.  
ومما زال سرب الحمام  
حزيناً على شرفات التوافذ  
يحرس قلب المدينة،  
يؤنس وحشتها  
وهي تعبّر أشرعة فوق نقع العواصف  
أي مataris يعبرها الطفل،  
أي ميادين سوف يعانقها رملها؟  
أي طلاح سيلمس أهدابها؟  
في أي زاوية سيعيد الكمين؟  
تراءى له ظله في الحدائق  
صوت غزاله،  
وجهها المتلألق،  
ناس جدائها  
شكل أصحابه يقطفون الحجارة عن شجر البرق  
- لم تكشف الربيع أسرارها بعد  
(فلينكسر خوفه بالغناء المضرج بالشوق)

ولينطلق صوته بالصهيل الذي يتوحد  
أيلول شهر المخاض  
وفاتحة للبهاء الطليق ومئذنة الصانعين،  
فأي صلاة يؤدي الفتى  
قبل أن تبدأ الأرض زلزالها؟  
أى نشيد سيتلن على ثلاثة  
في حطام البيوت؟  
وأى الرسائل سوف يحرر؟  
قالت له أمه:  
- هل رأيت على السفح زيتوننا؟  
ذات يوم سيكبر  
ذات نهار ستجري القصائد في النهر.  
- والسماء البعيدة هل يعمر اليوم أبوابها؟  
- سوف يعمرها العندليب  
وتنبت أزهارنا الحجرية  
أكثر من مطر قد يجيء.

● ● ●

ولد الريح والظلماء - الجوع  
والبرد والحر،  
والكر والفر  
والكرباء.  
ها هو الآن مستغرق في البهاء.  
ها هو الآن ينتظر الأصدقاء.  
يجيئون أسرع من غمضة العين،  
أعلامهم



والنشيد المؤجل،

نkehة أسمائهم في الخرائط  
لهفتهم لاستباق الخيول إلى موقف الحافلات،  
هو الآن مزدحم بالحياة  
وقد فاز بالجائزة.

(طولكرم - فلسطين)

## بكل وضوح

محمود خير الله

إنها شعيرات بنا لكم العذاري،  
وإذا غفا الواحد منكم  
في حديقة عامة  
ورأى قتلى ومخربين في الشوارع  
فلا بد أن يفهم  
أن هؤلاء  
هم الذين قطعوا في وجه الرئيس.  
حتى الماء  
لا تصدقوه  
رغم أنه يزحف أميالاً على بطنه  
ليدخل أجdanكم  
ليس إلا  
دموع الملايين الذين جاعوا

يا من تعيشون هنا  
لا تصدقوا الأبيض الذي في السماء  
إنه فراء زوجة الرئيس  
بعدما علقته على شمامعة الرب  
وإذا صادقتم أسدًا  
في حديقة قصر  
كذبوا عيونكم  
لأنه مجرد صديق مخلص  
لسعادة الرئيس  
تأكدوا دائمًا من كل شيء  
انظروا - مثلًا - إلى سجاجيد القصور  
وهي تنبع تحت أقدام الوفود الأجنبية



أصرخوا فيه،  
ولا تصدقوه  
لأن شيئاً في هذه الحياة  
لا يجب أن نصدق  
حتى هذه الملايين الجائعة  
تهرب دائمًا من أمامي  
لدرجة أتنى لا أراهم  
لا أراهم بوضوح.

لكي يتعطر أحفاد الرئيس.  
وإذا رأيتم عارية - في الطريق العام -  
فلا تخنوا أهلها طردوها  
إنها تمرن «المعارضين»  
على محبة الرئيس،  
وإذا رأيتم بائع الحليب المخادع  
يهدر دموع المظلومين البيضاء  
هكذا بأسعار رخيصة

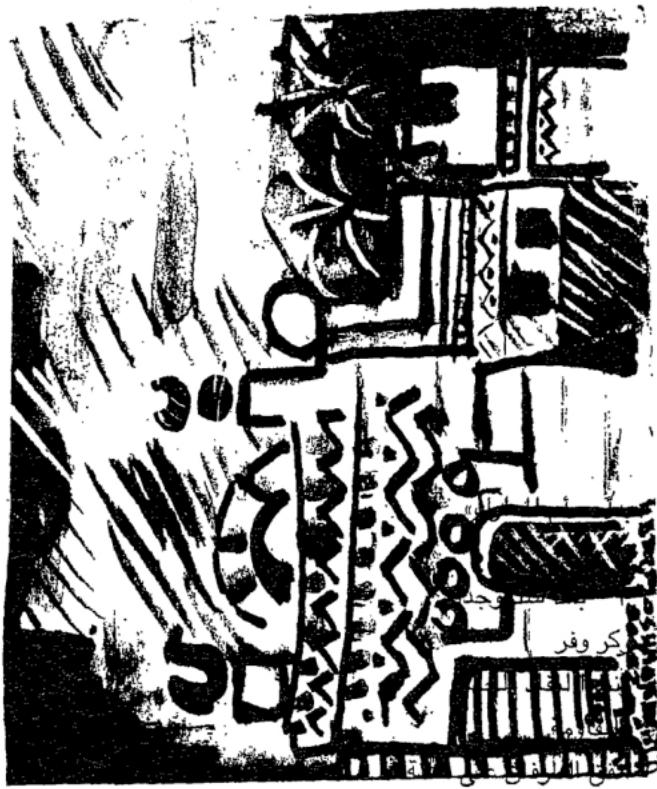
## خداع

صلاح جاد

١ - بمهارة قرصان متمرس  
وبخبرة امرأة مجرية  
كذب عليها في عمله وزواجه  
وكذبت عليه في عمرها واسمها  
قبل أن يفترشا عشب الحديقة اليابس  
ويسالم لجذع نخلة عريقة ظهره

٢ - أمام المرأة  
أخذت تصفف شعرها  
ترش عطرًا نافذًا  
تحت أبطيها وأذنها  
في قميصها القصير الأسود  
بإشاررة سريعة





إثر هدنة لنقل المصابين  
وأجلاء الشهداء .....  
والقتلى .....

## يوميات حذاء

سامح محجوب

(١)

للأسفلت النازف صمتاً

أهدى وردة روحى

وجه الطفل الهارب من مرآة حتفى

اسم حبيبة عمرى

واسم الأطفال الجوعى تحت سماء مدینتنا

اسم رفاق الطرق المنسيه

ميلاد العشب.. ميلاد الخنزير..

ميلاد الحرية

للأسفلت النازف صمتاً أهدى اسمى..

(٢)

يرفوني شوقى ورداً

---

ترفوني الليلة شرفة  
هل يفتشي الورد السر؟  
هل تحكى الشرفة عنى؟  
أنا ناي الغربية.. لا يعرفنى الورد الناعم  
لا تنظر نحوى الشرفة  
حين أمر حزيناً وحدى  
أنا وحدى فى هذا العالم وحدى  
يدرونى الريح الجائع نغماً  
مجروح الوجد

(٣)

هل تمنحين الفارس المهزوم صدرك  
كى ينام  
هذا أوان الحزن يسعل فى فضاءات الغمام  
تعب الطريق من المسير  
يا صاحبى أغلى الأحزان  
أسراب الطيور  
عيناك مأوى الأخير  
يحط فى دفنهما القلب الكسير  
هذا أوان الحزن ينشج فى تجاعيد الكلام  
هل تمنحين الفارس المنفى صدرك  
كى ينام

(٤)

نامي على دقات قلبي الباكيات بلا عزاء



واستدفنتي ملامحي إن ضمئني ضبخ الفنان  
الليل يعوى في دمي  
والشارع المحزون يصرخ  
في حذائني  
وأطالع الوجه الملبد بالخريف على زجاجات المساء  
ألقى السلام على جهادته  
فيجهش بالبكاء  
فاللهم الدمع الكثيم من التسкуن في العراة  
وأشير في صمت لبعض ملامحي  
ال كانت تسير على الرجاء

## شعر

### المرايا

خالد حريب

هتفت قدام المرايا  
شعار يبجرح الحنجرة والكون  
وينرد لى اعتباري  
تنتبادل الابتسام مع بعض  
تلمع شعرنا بفازلين  
فى المرايا  
يظهر الحيط من ورايا  
فاسد .. مستبد  
برواز عليه لسورة الفاتحة  
كلمة «أمين» كبيرة خالص  
تستخيى عينى فى الهاتف وأليقط الدم  
والشرار اللى بينط من عين العساكر  
ترتاح ملامحي  
من أثر الكريم المعطر بالملون

القميص كان فيه زدار مقطوع  
من زحمة الناس في الميدان  
غطيت مكانه بكوفية  
وابتسمت للفرايا  
غطيت قزاز المرايا باتسامة تمام  
ابتسم صاحبى الله جواها  
وانكشفت  
كان ميعادها فاضل عليه ساعتين  
وكان آخر ديسمبر مطر  
افكرت  
أني محتاج ورنيش للجزمة  
لما خلعت الكوفية  
شفت الزدار موجود  
وصوتي في الحنجرة ميت

## امرأة واحدة

سامي الغباشى

امرأة واحدة.. تسرف في طاعتك  
امرأة واحدة.. تهدد رهبتك إن عدت مجرحاً  
..... بالمعرفة  
امرأة واحدة.. تضمد وحدتك إن أرهقتك المقاھي  
امرأة واحدة.. تكنس أجساد البنات من عينيك إن  
تزاھمن  
..... أو ارتعن اشتھاء على صدرك..  
امرأة واحدة.. تطھر قلبك إن عبشت به الآخريات  
امرأة واحدة.. لا تصدق غربتك  
امرأة واحدة.. شساعتھا وطن  
امرأة واحدة.. ترفض أن تسفيھا وطن  
امرأة واحدة.. راحلة فيك وراحل فيها  
..... فايکما المغترب.

## الحصان

ناصر دويدار

طلقة رصاص  
يمكن تكون رحمة....  
يمكن تكون الخلاص  
من نظرة الشفقة  
يمكن تكون نهاية مؤللة  
يجوز يكون المشهد الآخر أنى حزين  
لكن أكيد  
إنها..... اختصار للسنين  
الجایة المرعبة  
طلقة رصاص  
هي أكيد رحمة

ماتبصش على وقفه الدبان  
فوق عين الحصان وهو متمدد  
فى بركة وحل

ماتبصش لجلده المكرمش  
وديله اللي كنا بنحلف  
بطوله وجماله وحلوته  
في شعر البناء  
وكبرياته رقتها اللي نايم  
ودايس عليه الجراد  
وما تستغريش نومته  
في عرض البلاد  
دا كان زمان  
فرس النبي  
والصحاب  
وياما ضهره شال بلاد  
وطح ف بلاد  
وعمر بلاد  
وهاجم لصوص  
وغير خرایط  
وحافره ده فجر زمان  
بحور الإيمان  
الأمان  
الحنان  
وكأن له زمان  
عشيرة وأهل  
عمومة وخلان  
وكان له عيال تسد لشموس  
وكان له صهيل يهد الجبال  
دا كان السيد.. الحصان



2006  
Black 25000  
Memorial Society

ماتستغريبوش  
دى صورته  
ف أول سباق للخيوال  
فى أول طريق الحياة  
دى صورته  
رقبته.. وفخده.. حوافره.. سنانه.. دماغه  
وطوله وعرضه ونظرة عيونه البعيدة وهى بتلمع  
دى صورته  
وآخر السباق  
وصل له لوحده  
مفيش حد جنبه  
دا كاس الوصول بيلمع لوحده فى آخر السباق

صحيح إن نومته تحزن  
تقدر  
تيأس  
تحطم تكسر  
لكن الحقيقة  
بأن الرصاصصة اختصار  
السنين اللي جايه  
السنين اللي ترعب

سنين المعين  
الحمير  
الكلاب  
ماهياش سنين الحصان

## الجواد

محمد حسن على

سقط الجواد وأنت تستيقن الخطى  
تعدو إلى الحلم الذي  
جابهت فيه الشمس والليل الخثون  
سابقت أفراس النهار  
وحطمته قمماك أجنحة الرمال  
ويعثرت أنفاسك اللاهفى رياح  
أقسمت أن تصطفيك  
سقط الجواد وأنت قديس كليم  
ترسم الشرق الضياء بلا ظلال  
وتعيد نجماً قد خبا في أعين العشاق  
تلتحق في حوانط عمرنا بباباً لذائف الضياء  
لكن حلمك سيدى ضل الطريق لمبتغاه

فالسحر ضاع من العصي  
والبحر خان  
قد شيدوا من ملك قارون القصور  
وأوقدوا في الطين  
ما كنت أول راحل بدأ المسير  
لكنك الحلم الشفيف  
ما كنت أول مبعث للقاطنين  
لكنك الفرس الوحيد  
بالله ماذا الآن تلمح في العيون  
الحزن إكليل يطوق حول عنق السنين  
العار وشم فوق أفتة العذاري التائهات  
والياس وجه سافر في ظلمة الليل القمي  
سافرت ...  
ما كانت حدود الكون أرحب من سماء تصطفيك  
ولا رؤى الأحلام أعزب من عذاري تشتهيك  
ما كان نبضك شاهداً أن الحياة بنا على درب تسير  
ما أتعس العمر الذي يمضي بنا والنبض منكسر ذليل.

## مخلوقات صفيرة

سعيد عبد الموجود

يسير كما يسير دائماً، ضوء المحطة التي لم يبعد عنها كثيراً يكشف الظلام، يستطيع أن يرى الحصى والعشب النابت بين الأحجار والقضبان بوضوح وأيضاً هيكل البناء تحت الإنشاء التي يتجه إليها، رأها أثناء النهار وهو يسير هناك، قرر أن يبيت فيها ليلته عندما يحين الليل، لم ينم بين جدران من زمن، كره الجدران منذ تلك الليلة ولكنه اليوم حن للدفء نسائم الشتاء الباردة تلفح وجهه، لا يعرف لماذا يتذكر أمه الليلة، يتذكر ملامحها، لا يتذكر الأشياء الأخرى جيداً، آخر ما يذكره عندما كان معها ملامع الرجل، الرجل الذي لم يكن ي حدثه والأريكة التي كان ينام عليها في الردهة الضيقة عندما تنتهي جلستهم أمام التليفزيون في الليل ويدلف الرجل إلى الحجرة الوحيدة ثم تتبعه أمه، يذكر أن الرجل لم يضرره، لا يذكر أنه حدث ذات مرة لم يفهم لماذا وجد أمه تحمل صرة ملابس ذات يوم وتسيير به في الطريق والبلل يملأ عينيها، بعدها لم يعد للمنزل ولم يعد يرى الرجل الذي لم يكن ي حدثه، بدأ يرى كثيراً من الوجوه في مقهى الرجل الغريب الذي تركته أمه لديه عندما سارت به في شوارع

المدينة وبدأ يألف الضوضاء التي كانت تؤلم رأسه الصغير والعمل طول النهار، لم يعد يرى أمه، جاءت إليه مرة، نادته من بعيد وجلست به على الرصيف، قبلته كثيراً هذه المرة وقبل أن تمشي تركت في حجره بعض الحلوي وثوباً جديداً، لم يرها بعد ذلك، فهم عندما رأى المعلم ذات يوم ينظر إليه ويهمس لحدثه:  
- وجدت طريقاً للسفر... ستعمل في بيت هناك.

بعدها وجد نفسه يترك المقهى ويسير، لا يعرف إلى أين، كان لا يعرف من «المدينة» سوى البيت المنخفض الذي كان يسكنه مع أمه والرجل عند المقابر وعدة أمغار من الشارع حيث كان يلعب، سار بلا هدف إلى حيث تقوده قدماه ومن يومها وهو يسير، أصبح السير سلاحه كلما كره مكاناً أو وجهاً، لم يعد له مكان واحد أصبحت المدينة كلها مكاناً كثيرة، كل ليلة ينام في مكان، تحت «نصب» في سوق الخضار، أو خلف دورة مياه عامة أو أمام باب جامع أو على سلم عمارة من العمارت الشعيبة، كان ينام في مكان واحد أول الأمر، الحجرة المفتوحة بمحطة السكة الحديد... الاستراحة التي تخلو في الليل، لم يعد ينام هناك بعد تلك الليلة عندما استيقظ من نومه ليحس بيدين تجذباه بقسوة وتجردانه، لم يستطع الصراخ عندما أحس في الظلام بألم وخجل شديدين، بعدها كره الجدران، أصبح لا ينام بين الجدران، أدرك أن هناك عملاً مخلولة له وعرف أماكنها... عند مدخل المحطة يمسح الأحذية أو في موقف سيارات الأجرة يغسل السيارات أو في «سوق الخضار» يحمل الأقفال، عندما يترك عملاً لا يجد مشقة في أن يجد عملاً آخر، اكتشف أنه كبر ويعرف المدينة الصغيرة أكثر ولكنه اكتشف أيضاً أن المدينة لا تعرفه حتى الذين يعمل معهم لا يعرفون سوى اسمه الذي ينادونه به، ينادونه باسماء كثيرة، في كل مرة يعمل في مكان ينادونه باسم مختلف مرأة عبد الله، ومرة عبده وأخرى وحيد أو غريب أو منسي، لا يعرض على اسم أو يصححه، لم يعد يذكر اسمًا ثابتاً، هو أيهم ينادونه به، لم يصادقه أحد، اعتاد أن يكون صديقاً لنفسه لا يذكر أن أحداً من الذين يعملون معهم ألم معهم سائل عنه عندما كان يغيب أو يترك العمل،... مازال يسير، ابتعد



ضوء المحطة لم يعد يصل أضواء المنازل المتناثرة في الحقول لا تضيء المكان، النسمات تزداد برودة، الظلمة تحتوى المدى إلا من نقطة ضوء هناك في آخر مرمى البصر.. الإشارة المعلقة وسط الظلام، يقترب من الخلاء الذى يحتوى المساكن تحت الإنشاء، يستعد للانحدار ليتجه إلى هناك، يسمع نباحاً ضعيفاً كأنه الآذين، يستدرين، يمد بصره، يرى بقعة بيضاء مكونة وسط القصبان، يؤجل انحداره، يخطو إلى هناك، ينحني على المخلوق الصغير الذى ينتقض، أنات الصغير تشرخ قلبه، يجثو على ركبتيه، يحمله وينهض، يضممه إلى صدره ويمسح رأسه، يحتضنه أكثر، يسكن الصغير بين يديه وهو ينحدر به متوجهاً إلى حيث سيبقىتان ليلتهما.

## ال الخليفة

أحمد محمد عبده

في القديم القديم. ورث آدم الأرض. فترى عرشها. نظر في الأرجاء . لم يجد رعية ولا حراساً!!.

وكانت تلك هي المرة الأولى. التي يتوق فيها «ملك» إلى إلقاء الأوامر والنواهى!

ولما جاءت حواء، وشبع آدم من كفها . حدث . وللمرة الأولى. أن رأى نفسه . ورأت هي نفسها..!!

فطلقا يخصفان عليهما من أوراق الجنة.

فححدث.. وللمرة الأولى. أن أشتاق «ملك» إلى أن ينبع عنه ملكاً آخر. وذلك في أوقات المرض والسفر والطعام (وقضاء الحاجة ولقاء الزوجة) !! فالعرش . حسب التعاليم.. لا ينبغي أن يخلو - ولو لساعة واحدة - من متربع عليه.

و قبل أن ينتهي آدم .. من أولى مرات لقائه بحواء. وكانت تلك هي المرة الأولى. التي كان فيها العرش بدون متربع عليه. استغفر آدم ربها. فتاتب عليه

ثم توجه واعتلى العرش  
أنجبت حواء ولداً.

أراد آدم أن يقضى بعض أموره. فأجلس ولده على العرش.  
وحينما انتهى.. راح يطلب العرش. لكن المتربيع عليه ظل متربعاً  
تنحنح آدم. لكن «المتربيع» لم يعره اهتماماً.

نهره آدم. ثم زغده . ولا مجيب.  
اللح عليه فى النزول عن العرش. فهو الأب . وهو الأقدم وجوداً والأوسع عقلاً والأكثر  
حنكة. ودرية.

لكن المتربيع على العرش لم يهتم ..  
لعن آدم ذلك الماء الذى كان قد أودعه فى رحم حواء بعد مجئ هذا العاق.  
وقال:

إنه لن يأتي بأفضل منه...!!!

راح يضرب فى الأرض طولاً وعرضأً.

ظل المتربيع على العرش متربعاً عليه. إلى أن تجسد الماء الذى فى بطن حواء.  
هبط المتجسد من بطنها. ثم بكى.. ثم رضع.. ثم دب على الأرض.  
ثم ابتسם .. ثم ضحك .. ثم قهقهة.

طلب منه الجالس على العرش أن يجلس فى مكانه ساعة. يقضى فيها أمراً  
وكان أن اشترط عليه لا يتربع. لكنه تربع!!!  
ولما قضى أمره. وقف أمامه.. وطلب منه العرش لكن الجالس عليه لم يلتقط إليه.  
نهره ثم زغده. ثم جذبه إلى الأرض.. ثم انقض عليه. فهو الأكبر والأقدم والأوسع  
خبرة والأكثر حنكة.

وكان أن حدث - وللمرة الأولى - أن يرتمى جسد على الأرض ثم يرتحى .. ثم لا  
يتحرك .. ثم لا يقوم واقفاً مرة أخرى.  
فر القاتل .. هائماً على وجهه فى الأرض.  
تقابل مع آدم.. الأب.

كاد الولد أن يفر من أبيه. لو لا أن جذبه الأب إليه في إشفاق واحتواء. وقال له:  
سوف يلعنك كل الذين سقطوا على الأرض إلى يوم الدين.

ثم قال:

ستهيم على وجهك أربعين عاماً. جزاء ما عققت أباك. وأربعين أخرى جزاء ما قتلت  
أخاك.

تمكن الولد من الإفلات من بين يدي أبيه. وفر هارباً.  
نظر إليه الأب. ثم بكى.

كان آدم قد أقسم ألا يعود إلى هذا العرش أبداً.  
سيبحث عن عرش آخر.. فكل الأرض مملكته. لكنه تذكر حواء.  
تذكر أن أحشاءها - الآن - فارغة - وأن العرش خال من متربع عليه.  
فواصل المسير.

دخل تخوم مملكته . وكان ذلك عند الفجر.  
في هذا اليوم نام.

وفي اليوم الثاني .. قام..  
ووَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى قَبْرِ ولَدِهِ

بَكَى ..

ثم حفر قبراً بجواره  
ثم اختلى بحواء..  
دعا ربه بذرية صالحة  
ثم صعد ليجلس على العرش!!.

## عن ملفات الأدب في الأقاليم

بقلم / سمير الأمير

من المفترض أن مجلة فكرية / أدبية تصدر عن أحد أحزاب اليسار المصري ويشرف على تحريرها ناقدة مرموقة بقيمة وحجم «جريدة النقاش» وشاعر كبير بجدية وعمق «حلمى سالم» من المفترض أن تتميز وتنأى بنفسها عن «معجنة» مجلات وزارة الثقافة التي تحولت إلى «سبوبة» لمحريها وشلّالهم من منتفعى الأدب ومحترفى سرقة الدعم الثقافى الذى لا يصل أبداً إلى مستحقيه من المهووبين الحقيقيين فى القاهرة وعموم مصر المحروسة.. لذا تحتم على «أدب ونقد» أن تعامل مع النصوص الإبداعية والمقالات بموضوعية بغض النظر عن اسم الكاتب أو محل إقامته فنشر الأعمال التى تأتى من أبعد قرية فى الريف المصرى متحاورة مع تلك الأعمال التى يكتبها أشهر كتاب القاهرة وذلك لترسيخ قيم الثقافة الموضوعية والجادة وللانتصار للمواهب الأصلية أينما وجدت ومن هذا المنطلق ولثقتى أنكم قادرون على القيام بهذه المهمة وقد فعلتم ذلك من قبل وكان لكم فضل فى الوقوف إلى جانب أدباء أصبحوا الآن متحققين فى الواقع الأدبى المصرى بل والعربى ومنهم على سبيل المثال القاص محمد المخزنجرى والروائى رضا البهات والشاعر طاهر البرنبالى

وأسماء كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

من هذا المنطلق أود أن أهمس لكم ببعض الملاحظات حول سياسة النشر للآدباء ضمن ملفات تكرس للجغرافيا أكثر مما تكرس لقيمة الأعمال الأدبية ولكتابها وأوجز ملاحظاتي في النقاط التالية:

- أولاً: - أليست القاهرة هي أيضاً إقليم مثل بقية أقاليم مصر؟ فهل ستنشرون قصائد أحمد عبد المعطي حجازى وقصص بهاء طاهر فى ملف يحمل اسم «القاهرة الكبرى والقليوبية» هل ستنشرون مقالات رجاء النقاش وصلاح عيسى ضمن ملف الدقهلية حيث يتتمى الأول «ملينة سمنود» والثانى لقرية «بشلا»؟
- ثانياً: - هل يمكن اعتبار الملف الأدبى الخاص بإقليم معين ضممن المتن أم ضمن الهاشم؟ فإن اعتبرتموه متناً فلماذا تضعونه بين قوسين كبيرين أنه يدل دنت على تهريك من التقييم العام للأعمال المنشورة، الموقف الذى ربما يعبر عن الكسل أكثر مما يعبر عن الاهتمام.
- ثالثاً: هل تريحون ضمائركم المعذبة نتيجة شعوركم بالتقحصير فى حق الآدباء (المتعشمين فيكم) فتتخاصورون من هذا الشعور بوضعهم فى سلة واحدة تسمونها «تهذباً» «ملفأً»
- رابعاً: - وهذا مطلب شخصى - أرجو ألا تنشروا أياً من قصائدى التى أرسلتها بالبريد أو مع الأصدقاء ضمن هذه الملفات الجغرافية وذلك لأن أمى تصر على أننى «دقهلاوى» بما أنها من «ميت سلسيل» ويصر أبى على أننى «شرقاوى» بما أنه من «منشأة الأمير» أما زوج خالتى فبطالب بضمى إلى محافظة دمياط حيث استضاف أمى فى شهرها الأخير وحدث أن ولدت هناك وهذا يجعل وضعى فى ملف معين أمراً بالغ التعقيد وينذر بعواقب عائلية وخيمة.



## إشارات

### محمد الماغوط

في أوائل أبريل الماضي مات محمد الماغوط عن اثنين وسبعين عاماً فهو من مواليد مدينة «السلمية» السورية «سنة ١٩٣٤» وقد بدأ اسم محمد الماغوط يتتردد في الحياة الأدبية العربية منذ حوالي سنة ١٩٥٥ وارتفاع نجمه بعد ذلك بسرعة شديدة في السنتينيات وما بعدها حتى أصبح اسم الماغوط له ضوء ساطع لا يشبهه ولا يساويه ضوء آخر فقد كان الماغوط صاحب موهبة فريدة مستقلة يصعب أن تتكرر بهذه الصورة النادرة، وقد يتصور البعض أن الماغوط هو ثمرة تعليم متميزة في العالم العربي أو في الخارج، وقد يتضورون أن تاريخ الشخص مليء بسنوات من القراءة والبحث عن أسلوب خاص به ولكن الحقيقة غير ذلك فإن الماغوط لم يحصل على أي تعليم منتظم، وقد هرب من مدرسة زراعة متوسطة التحق بها لأنها كانت مدرسة داخلية تقدم له المأوى والطعام، وكان الماغوط من أكثر القراء فقرأ في بلاده بل في هذه الدنيا كلها، وقد كان هذا الفقر هو الوحش المفترس الذي أنشب أظافره في جسم الماغوط في بداية حياته.

ولكن الماغوط قاوم هذا الفقر وخرج من سجن القاسي بموهبته الفريدة وليس بالشهادات والوظائف الغربية التي حصل على بعضها مثل تلك الوظيفة التي حصل عليها في السنتينيات، وهي وظيفة رئيس تحرير مجلة الشرطة فمحمد الماغوط كان مطرداً من أجهزة الأمن وقد دخل السجن سنة ١٩٥٥ متهمًا بالانتماء إلى حزب ممنوع هو «الحزب القومي السوري» الذي تم إعدام زعيمه آنذاك سعادون سعادة سنة ١٩٤٩، وبعد خروج الماغوط من السجن الذي قضى فيه تسعة أشهر بدأت أجهزة الأمن تشعر أنه لا خطر منه كإنسان «غلبان» يعيش في حاله، أما خطورة أدبه فلم تكن تعنى أجهزة الأمن في شيء فقليلًا ما تختلف أجهزة الأمن من الأدب شعراً أو نثراً، ولكنها تخاف من الإنسان النشيط الذي يتحرك ويحرك غيره، ولذلك نال الماغوط هذه الوظيفة التي كان آخر من يصلح لها، وهي رئاسة تحرير مجلة الشرطة، وبينما كان الماغوط يعيش كموظف مطبخ وإنسان انطوائي لا يلفت الانتباه إليه، كانت كلماته تهز أرجاء العالم العربي وتتردد في كل مكان، وتثير الغضب في النفوس وتحرك الضمائري، وتلتف الأنظار بقوة ساحرة إلى القضية الكبرى التي عاش من أجلها الماغوط طيلة حياته وهي قضية الإنسان العربي العادي الذي يصارع الفقر وكثيراً ما يصرعه هذا الفقر ويقضى عليه.

محمد الماغوط أديب ليس معه شهادات ولم يلجا إلى حماية حزب أو دولة، وقد عاش ومات وهو لا يعرف أي لغة أجنبية، وكان لا يتباهي بشيء ولا يعتقد على شيء غير موهبته، وقد عبرت هذه الموهبة كل «الحدود» في قضية الفيلم المعروف بهذا الاسم، والذي كتبه الماغوط وقام ببطولته وفيق عمره الفنان دريد لحام، وقد قدم دريد أيضًا للماغوط عدداً من المسرحيات الرائعة من أشهرها وأبيدها «كاسك يا وطن».

الماغوط فنان سوف يقف التاريخ أمامه طويلاً وسوف يقرأه الناس جيلاً بعد جيل، وإن يملوا منه أبداً كما شعروا بالملل من بعض الذين كان لهم ضجيج وضوضاء، فأصبحوا غارقين في صمت يحيط بهم ويفرض عليهم أن تبقى صفحاتهم مطوية لا يفتحها أحد.

الماغوط فنان فريد، وأديبه من أخطر الوان الأدب التي عرفتها الثقافة العربية في تاريخها كلها، وقد كان بيكتسو يتبااهي بعيقربيته ويقول: «أنا لا أبحث .. أنا أجده» ولعل هذا القول مما ينطبق أيضاً على الماغوط، فقد كان صاحب موهبة غيريرة العطاء.. وكان يجد ولا يبحث!



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

lisanerab.com رابط بديل

